الحاكمين ﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - دعوة الرسل واحدة في باب العقيدة إذ كلها تقوم على أساس التوحيد والطاعة.

٢ - حرمة التطفيف في الكيل والميزان، وبخس الناس أشياءهم، ويدخل في ذلك الصناعات وحرف المهن وما إلى ذلك.

٣ - حرمة الفساد في الأرض بالمعاصي لا سيما البلاد التي طهرها الله بالإسلام وأصلحها بشرائعه.

٤ - حرمة التلصص وقطع الطرق[1] وتخويف المارة.

٥ - حرمة الصد عن سبيل الله بمنع الناس من التدين والإلتزام بالشريعة ظاهراً وباطناً.

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ (٨٨) قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ (٨٩) ﴾

شرح الكلمات:

الملأ : أشراف القوم الذين يملؤون المجلس إذا جلسوا، والعين إذا نظر اليهم.

استكبروا : تكلفوا الكبر وهم حقيرون، حتى لا يقبلوا الحق.

---

(١) ومثله الضرائب الفادحة التي تضرب على المسلمين في بلادهم والمكوس التي في الأسواق وغيرها مما اقتدى فيه المسلمون بالكافرين.

من قريتنـا	: مدينتـــنا
في ملتكـــم	: فـي دينكـــم .
على الله توكلنا	: أي فوضنا أمرنا واعتمدنا في حمايتنا عليه .
ربنا افتح بيننا	: أي يا ربنا احكم بيننا .
وأنت خير الفاتحين	: أي وأنت خير الحاكمـين .

معنى الآيتين :

مازال السياق الكـريم في قصص شعيب مع قومه أهل مدين فبعد أن أمرهم ونهاهم وذكرهم ووعظهم ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه﴾ مهددين موعدين مقسمين ﴿لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا﴾ . هكذا سنة الطغاة الظلمة إذا غلبـوا بالحجـج والـبراهين يفزعون إلى القوة فلما أفحمهم شعيب خطيب الأنبياء عليهم السلام ، وقطع الطريق عليهم شهروا السلاح في وجهه ، وهو النفي والإخراج من البلاد أو العودة إلى دينهم الباطل : ﴿لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن[1] في ملتنا﴾ ورد شعيب على هذا التهديد بقوله : ﴿أولو كنا كارهين[2]﴾ أي أنعود في ملتكم ولو كنا كارهين لها ﴿قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها[3]﴾ ووجه الكذب على الله إن عادوا إلى ملة الباطل هو أن شعيباً أخبرهم أن الله تعالى أمرهم بعبادته وحده وترك عبادة غيره ، وأنه تعالى أرسله إليهم رسولاً وأمرهم بطاعته إنقاذاً لهم من الباطل الذي هم فيه فإذا أرتد وعاد هو ومن معه من المؤمنين إلى ملة الشرك كان موقفهم موقف من كذب على الله تعالى بأنه قال كذا وكذا والله عز وجل لم يقل . هذا ثم قال شعيب ﴿وما يكون لنا أن نعود فيها﴾ ليس من الممكن ولا من المتهيء لنا العودة في ملتكم أبداً ، اللهم إلا أن[4] يشاء ربنا شيئاً فإن مشيئته نافذة في خلقه ، وقوله : ﴿وسع ربنا كل شيء علما﴾ فإذا كان قد علم أنا نرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله ، فسوف يكون ما علمه كما علمه وهو الغالب على أمره .

---

(١) ﴿أو لتعودنّ﴾ : إمّا أن يراد به أتباع شعيب المؤمنون إذ كانوا قبل إيمانهم على دين قومهم وإمّا أن يراد بكلمة ﴿لتعودنّ﴾ : لتصيرنّ إذ تكون عاد بمعنى : صار .

(٢) الاستفهام للتعجب والاستبعاد .

(٣) هذا أسلوب الإياس لهم من العودة إلى دينهم الباطل .

(٤) هذا الاستثناء كان من شعيب تأدباً مع الله تعالى بتفويض الأمر إلى مشيئته وعودة غيره من أمته ممكنة ولكن عودته هو مستحيلة .

ثم قال عليه السلام بعد أن أعلمهم أن العودة إلى دينهم غير واردة ولا ممكنة بحال من الأحوال إلاّ في حال مشيئة الله ذلك، وهذا مما لا يشاءه الله تعالى قال: ﴿على الله توكلنا﴾ في الثبات على دينه الحق، والبراءة من الباطل ثم سأل ربه قائلاً: ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾ أي احكم بيننا وبينهم بالحق ﴿وأنت خير الفاتحين﴾[1] أي الحاكمين، وذلك بإحقاق الحق وإبطال الباطل.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ بيان سنة بشرية وهي أن الظلمة والمتكبرين يجادلون بالباطل حتى إذا أعياهم الجدال وأفحموا بالحجج بدل أن يسلموا بالحق ويعترفوا به ويقبلوه، فيستريحوا ويريحوا يفزعون إلى القوة بطرد أهل الحق ونفيهم أو إكراههم على قبول الباطل بالعذاب والنكال.

٢ـ لا يصح من أهل الحق بعد أن عرفوه ودعوا إليه أن يتنكروا ويقبلوا الباطل بدله.

٣ـ يستحب الاستثناء في كل ما عزم عليه المؤمن مستقبلاً وإن لم يرده أو حتى يفكر فيه.

٤ـ وجوب التوكل على الله عند تهديد العدو وتخويفه، والمضي في سبيل الحق.

٥ـ مشروعية الدعاء وسؤال الله تعالى الحكم بين أهل الحق وأهل الباطل، لأن الله تعالى يحكم بالحق وهو خير الحاكمين.

وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ

---

(١) ﴿إلاّ أن يشاء الله ربنا﴾ هذا الاستثناء منقطع بمعنى لكن أي: ما يقع منّا العودة إلى الكفر لكن إن شاء الله ذلك كان، والله لا يشاء ذلك فهو إذاً كقولك: لا أكلمك حتى يبيَض الغراب أو ﴿حتى يلج الجمل في سمّ الخياط﴾.

(٢) الفتح بمعنى القضاء والحكم وهو لغة: أزد عمان من اليمن أي: أحكم بيننا وبينهم وهي مأخوذة من الفتح بمعنى النصر إذ كانوا لا يتحاكمون لغير السيف ويرون أن النصر حكم الله للغالب على المغلوب.

أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾

شرح الكلمات :

لئن اتبعتم شعيباً : أي على ما جاء به من الدين والهدى .

الرجفة : الحركة العنيفة كالزلزلة .

جاثمين : باركين على ركبهم ميتين .

كأن لم يغنوا فيها : أي كأن لم يعمروها ويقيموا فيها زمناً طويلاً .

الخاسرين : إذ هلكوا في الدنيا وادخلوا النار في الآخرة .

آسى[1] : أي أحزن أو آسف شديد الأسف .

معنى الآيات :

مازال السياق في قصص شعيب مع أهل مدين فإنه بعد أن هدد الظالمون شعيباً بالإبعاد من مدينتهم هو والمؤمنون معه أو أن يعودوا إلى ملتهم فرد شعيب على التهديد بما أيأسهم من العودة إلى دينهم ، وفزع إلى الله يعلن توكله عليه ويطلب حكمه العادل بينه وبين قومه المشركين الظالمين كأن الناس اضطربوا وأن بعضاً قال اتركوا الرجل وما هو عليه ، ولا تتعرضوا لما لا تطيقونه من البلاء . هنا قال الملأ الذين استكبروا من قومه مقسمين بآلهة الباطل : ﴿لئن اتبعتم شعيباً﴾ أي على دينه وما جاء به وما يدعو إليه من التوحيد والعدل ورفع الظلم ﴿إنكم إذاً لخاسرون﴾ قال تعالى : ﴿فأخذتهم الرجفة﴾ استجابة لدعوة شعيب فأصبحوا[2] هلكى جاثمين على الركب . قال تعالى : ﴿الذين كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها﴾[3]

---

(١) أسِيَ كرضي يأسى كيرضي يقال : أسيت على كذا أسىً فأنا آسٍ وآسى في الآية مضارع أسى دخلت عليه همزة المتكلم فصارت آسى بهمزتين .

(٢) في سورة هود : ﴿فأخذتهم الصيحة﴾ وفي سورة الشعراء : ﴿أخذهم عذاب يوم الظّلة﴾ وطريقة الجمع . أنهم لمّا اجتمعوا تحت الظلة وهي سحابة أظلتهم ، فزَعُوا إليها من شدّة الحرّ الذي أصابهم يومئذٍ فلمّا استقروا تحتها زُلزلوا من تحتهم وهي الرجفة ونزلت عليهم من الظلة صاعقة وهي الصيحة فأحرقتهم هذا إن قلنا إنّ مدين وأصحاب الأيكة هما أمة واحدة ، وإلا فأصحاب الأيكة أخذوا بعذاب الظلة وأصحاب مدين أخذوا بالرجفة من تحتهم ، والصيحة من فوقهم .

(٣) وفسّر القرطبي الغنى : بالمقام يقال : غنى القوم في دارهم أي : طال مقامهم ، والمغني : المنزل والجمع المغاني ، قال لبيد :

وغنيت سبْتاً قبل مجرى داحسٍ   لو كان للنفس اللجوج خلود

ومعنى غنيت : أقمت وهو الشاهد .

أي كأن لم يعمروا تلك الديار ويقيموا بها زمناً طويلاً، وأكد هذا الخبر وهو حكمه في المكذبين الظالمين فقال: ﴿الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين﴾ أما الذين صدقوا شعيباً فهم المفلحون الفائزون وودعهم شعيب كما ودع صالح قومه قال تعالى: ﴿فتولى عنهم﴾ وهم جاثمون هلكى فقال ﴿يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم﴾ فأبيتم إلا تكذيبي ورد قولي والإصرار على الشرك والفساد حتى هلكتم ﴿فكيف آسى[1] على قوم كافرين﴾ أي لا معنى للحزن والأسف على مثلكم.

هداية الآيـات

من هداية الآيات:

١ـ ثمرة الصبر والثبات النصر العاجل أو الآجل.

٢ـ نهاية الظلم والطغيان والدمار والخسران.

٣ـ لا أسىً ولا حزناً على من أهلكه الله تعالى بظلمه وفساده في الأرض.

٤ـ مشروعية توبيخ الظالمين بعد هلاكهم كما فعل رسول الله ﷺ بأهل القليب وكما فعل صالح وشعيب عليهما السلام.

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩٥﴾

شـرح الكلمـات:

في قــرية: القرية: المدينة الجامعة لأعيان البلاد ورؤسائها وهي المدينة.

بالبأســاء: بالشـدة كالقحط والجوع والحروب.

---

(١) الاستفهام إنكاري وهو موجه في الظاهر إلى نفس شعيب، والمقصود نهي من معه من المؤمنين الناجين من العذاب برحمة الله تعالى نهيهم عن الحزن عن قومهم وأقاربهم كأنه لاحظ ذلك فيهم.

والضــــراء : الحالة المضرة كالأمراض والغلاء وشدة المؤونة.

يضرعــــون : يدعون الله تعالى ويتضرعون إليه ليكشف عنهم السوء.

مكان السيئة الحسنة : أي بدل الغلاء الرخاء، وبدل الخوف الأمن، وبدل المرض الصحة.

حتى عفــوا : كثرت خيراتهم ونمت أموالهم، وأصبحت حالهم كلها حسنة.

أخذناهم بغتة : أنزلنا بهم العقوبة فـجأة.

معنى الآيتيـن :

على إثر بيان قصص خمسة أنبياء ذكر تعالى سنته في الأمم السابقة ليكون ذلك عظة لكفار قريش، وذكرى للمؤمنين فقال تعالى: ﴿وما أرسلنا في قرية[1]﴾ أي في أهل قرية والمراد بالقرية الحاضرة والعاصمة من كبريات المدن حيث الكبراء والرؤساء من نبي من الأنبياء والمرسلين فكذبوه قومه وردوا دعوته مصرين على الشرك والضلال إلا أخذ الله تعالى أهل تلك المدينة بألوان من العذاب التأديبي كالقحط والجوع وشظف العيش، والأمراض والحروب المعبر عنه بالبأساء والضراء. رجاء أن يرجعوا إلى الحق بعد النفور منه، وقبوله بعد الإعراض عنه ثم يغير تعالى ما بهم من بأساء وضراء إلى يسر ورخاء، وعافية وهناء فتكثر أموالهم وأولادهم ويعظم سلطانهم، ويقولون عندما يوعظون ويذكرون ليتوبوا فيؤمنوا ويتقوا: ﴿قد مس آباءنا الضراء والسراء[2]﴾ أي الخير والشر وما هناك ما تخوفوننا به إنما هي الأيام هكذا دول يوم عسر وآخر يسر وبذلك يحق عليهم العذاب فيأخذهم الجبار عز وجل فجأة[3] ﴿وهم لا يشعرون﴾ فيتم هلاكهم ويمسون حديث عبرة لمن بعدهم عذاب في الدنيا، وعذاب في الآخرة وعذاب الآخرة أشد وأبقى.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ـ بيان سنة الله تعالى في الأمم السابقة.

---

(١) في الجملة إضمار تقديره: وما أرسلنا في قرية من نبي فكذّب أهلُها إلاّ أخذناهم وهو مبسوط في التفسير مبيّن غاية البيان والجملة معطوفة على جملة: ﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا﴾.

(٢) أي: فنحن مثلهم.

(٣) أي: بغتة ليكون أكثر حسرة.

٢ـ تخويف كفار قريش بما دلت عليه هذه السنة من أخذ الله تعالى المصرين على الكفر المتمردين على الحق،

٣ـ التذكير والوعظ بتاريخ الأمم السابقة المنبىء عن أسباب هلاكهم وخسرانهم ليتجنبها العقلاء، كما قال تعالى: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾

شرح الكلمات:

آمنوا واتقوا : أي آمنوا بالله ورسوله ووعد الله ووعيده واتقوه تعالى بطاعته وعدم معصيته.

بركات من السماء والأرض : جمع بركة وهي دوام الخير وبقاؤه والعلم والإلهام والمطر من بركات السماء والنبات والخصب والرخاء والأمن والعافية من بركات الأرض.

يكسبون : من الشرك والمعاصي.

بياتا : أي ليلًا وهم نائمون.

مكر الله : استدراجه تعالى لهم بإغداق النعم عليهم من صحة

الأبدان ورخاء العيش حتى إذا آمنوا مكره تعالى بهم أخذهم بغتة.

أو لم يهد لهم : أي أو لم يبين لهم بمعنى يتبين لهم.

بذنوبهم : أي بسبب ذنوبهم.

معنى الآيات :

بعدما بين تعالى سنته في الأمم السابقة، وهي أخذ الأمة بعد تكذيبها وعصيانها بالبأساء والضراء، ثم إذا هي لم تتب واستمرت على كفرها وعصيانها أغدق عليها الخيرات حتى عفت بكثرة مالها وصلاح حالها أخذها بغتة فأهلكها، وتم خسرانها في الدارين، فتح تعالى باب التوبة والرجاء لعباده فقال: ﴿ولو[1] أن أهل القرى[2]﴾ المكذبين ككفار مكة والطائف وغيرهما من المدن ﴿آمنوا﴾ أي بالله ورسوله وبلقاء الله ووعده ووعيده، ﴿واتقوا﴾ الله تعالى في الشرك وفي معصيته ومعصية رسوله لفتح عليهم أبواب السماء بالرحمات والبركات، وفتح عليهم كنوز الأرض ورزقهم من الطيبات ولكن أهل القرى الأولين كذبوا فأخذهم بالعذاب بما كانوا يكسبون، وأهل القرى اليوم وهم مكذبون فإما أن يعتبروا بما أصاب أهل القرى الأولين فيؤمنوا ويوحدوا ويطيعوا، وإما أن يصروا على الشرك والتكذيب فينزل بهم ما نزل بمن قبلهم من عذاب الإبادة والاستئصال، هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٩٦) وهي قوله تعالى ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات[3] من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ أما الآيات الثلاث بعدها فإن الله تعالى ينكر على أهل القرى غفلتهم موبخاً لهم على تماديهم وإصرارهم على الباطل معجباً من حالهم فيقول: ﴿أفأمن[4] أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياناً وهم نائمون؟﴾ أي أجهلوا ما نزل بمن قبلهم فأمنوا أن

---

(١) لو: حرف امتناع لا متناع، امتنع شرطها فامتنع جوابها، وشرطها هنا: الإيمان والتقوى وجوابها فتح البركات على أهل القرى.

(٢) يقال للمدينة: قرية لاجتماع الناس فيها مأخوذ من التقرّى الذي هو التجمع يقال: قريت الماء في الحوض: إذا جمعته، وسمي القرآن قرآنا لاجتماع الحروف والكلمات والجمل والآيات فيه.

(٣) البركات: جمع بركة، وهي الخير الدائم الصالح الذي لا تبعة فيه في الدنيا ولا في الآخرة. وتكون في العمر والمال وفي كل ما هو خير ونافع غير ضار للإنسان.

(٤) الاستفهام للانكار والتعجب معاً، ومكر الله تعالى: إمهالهم وإغداق الخير عليهم مع شركهم وكفرهم، إذ المكر: أن يظهر المرء الإحسان لمن يمكر به ليأخذه فجأة. والأمن من مكر الله تعالى زيادة على أنه كبيرة من كبائر الذنوب فإنه يؤدي بالأمن إلى هلاكه دنيا وأخرى.

يأتيهم عذابنا ليلاً وهم نائمون؟ ﴿أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا﴾ أي عذابنا ﴿ضحى وهم يلعبون؟﴾ أي أو غفل أهل القرى وأمنوا أن يأتيهم عذابنا ضحى وهم في أعمالهم التي لا تعود عليهم بخير كأنها لعب أطفال يلعبون بها ﴿أفأمنوا مكر الله﴾؟ أي أغرهم إمهالنا لهم واستدراجنا إياهم فأمنوا مكر الله؟ إنهم في ذلك خاسرون إذ لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون. وقوله تعالى في الآية الخامسة (١٠٠) ﴿أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون﴾ أي عمي الذين يرثون الأرض من بعد أهلها ولم يتبين لهم بعد ولم يعلموا أنا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا الذين ورثوا ديارهم بذنوبهم ﴿ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون﴾ أي ونجعل على قلوبهم غشاوة حتى لا يعوا ما يقال لهم ولا يفهموا ما يراد بهم حتى يهلكوا كما هلك الذين من قبلهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- عرض الرحمن تبارك وتعالى رحمته على عباده ولم يطلب منهم أكثر من الإيمان والتقوى.

٢- حرمة الغفلة ووجوب الذكر واليقظة.

٣- حرمة الأمن من مكر الله تعالى.

٤- إذا أمنت الأمة مكر الله تهيأت للخسران وحل بها لا محالة.

٥- وجوب الاعتبار بما أصاب الأولين، وذلك بترك ما كان سبباً لهلاكهم.

تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ



شـرح الكلـمات :

تلك القـرى : الإشارة إلى قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب.

من أنبـائها : أي من أخبـارها.

بالبيـنات : بالحجج والبراهين الدالة على توحيد الله وصدق رسله.

مـن قبـل : أي من قبـل خلقهم ووجـودهم، إذ علم الله تعـالى تكذيبهم فكتبه عليهم في كتاب المقادير.

وما وجدنا لأكثرهم من عهد : أي لم نجد لأكثرهم وفاء بعهودهم التي أخذت عليهم يوم أخذ الميثاق.

معنى الآيتين :

يخاطب الرب تعالى[1] رسوله محمداً ﷺ قائلا ﴿تلك القرى نقص عليك من أنبائها﴾ أي من أخبارها مع أنبيائها كيف دعتهم رسلهم إلى الإيمان والتوحيد والطاعة، وكيف ردت تلك الأمم دعوة الله واستكبرت على عبادته، وكيف كان حكمنا فيهم لعل قومك يذكرون فيؤمنوا ويوحدوا. وقوله تعالى ﴿ولقد جاءتهم رسلهم بالبنيات﴾ أي بالحجج الواضحات على صدق دعوتهم، وما جاءتهم به رسلهم من أمر ونهي من ربهم. وقوله ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل﴾[2] أي لم يكن أولئك الهالكون من أهل القرى ليؤمنوا بما كذبوا به في علم الله وقدره إذ علم الله أنهم لا يؤمنون فكتب ذلك عليهم فلذا هم لا يؤمنون. وقوله تعالى: ﴿كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين﴾ أي كما كتب على الهالكين من أهل القرى أنهم لا يؤمنون ولم يؤمنوا فعلاً فأهلكهم، يطبع كذلك على قلوب الكافرين فلا يؤمنون حتى يأخذهم العذاب وهم ظالمون بكفرهم. وهذا الحكم الإلهي قائم على مبدأ أن الله علم من كل إنسان قبل خلقه ما يرغب فيه وما يؤثره على غيره ويعمله باختياره وارادته فكتب ذلك عليه فهو عند خروجه

---

(١) سرّ هذا الخطاب زيادة على التعليم لكمال الهداية فإنه تسلية للرسول ﷺ مما يلاقي من صلف المشركين وعنادهم وجحودهم، وهو تسلية لكل مؤمن ومؤمنة يعاني من صلف المشركين وأذاهم.

(٢) اختلف في المضاف إليه المحذوف في قوله: ﴿بما كذّبوا من قبل﴾ هل المراد: من قبل خروجهم للحياة الدنيا وهم في عالم الأرواح حيث أمروا بالإيمان فكذبوافكتب الله عليهم ذلك فلن يكون إلا هو أو لو أحييناهم بعد إهلاكهم بذنوبهم لما آمنوا بما كذّبوا به فكان سبب هلاكهم، أو سألوا المعجزات ليؤمنوا فلمّا رأوها لم يؤمنوا بما كذّبوا من قبل رؤيتهم المعجزات، والراجح من هذه المقولات ما هو في التفسير إذ هو قول ابن جرير إمام المفسرين.

إلى الدنيا لا يعمل إلا به. ليصل الى ما كتب عليه، وقدر له أزلاً قبل خلق السموات والأرض، وقوله تعالى ﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهد﴾[1] أي لم نجد لتلك الأمم التي أهلكنا وهم قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب. لم نجد لأكثرهم وفاء بعهدهم الذي أخذناه عليهم قبل خلقهم من الإيمان بنا وعبادتنا وطاعتنا وطاعة رسلنا، وما وجدنا[2] أكثرهم إلا فاسقين عن أمرنا خارجين عن طاعتنا وطاعة رسلنا، وكذلك أحللنا بهم نقمتنا وأنزلنا بهم عذابنا فأهلكناهم أجمعين.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١- تقرير الوحي الإلهي وإثبات نبوة محمد ﷺ ، لأنه ما قُصَّ من أنباء الأولين لا يُتَلَقَّى إلا بوحي إلهي ولا يتلقى عن الله تعالى إلا رسول أُعِدَّ لذلك.

٢- وجود البينات مهما كانت قوية واضحة غير كاف في إيمان من لم يشأ الله هدايته.

٣- المؤمن من آمن في الأزل، والكافر من كفر فيه.

٤- الطبع على قلوب الكافرين سببه اختيارهم للكفر والشر والفساد وإصرارهم على ذلك كيفما كانت الحال.

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ[3] أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ

---

(١) ﴿من عهد﴾ من زائدة لتقوية النفي والدلالة على الجنس أي: جنس العهد، والعهد من الجائز أن يكون ما أخذ عليهم في عالم الذرّ وهو صحيح قاله ابن عباس وأن يكون ما أخذ عليهم من قِبل الأنبياء أن يعبدوا الله وحده ويطيعوه ولا يعصوه.

(٢) الآية: ﴿وإن وجدنا﴾ وإن: بمعنى ما النافية فلذا اكتفينا في التفسير بما ولم نذكر إن اختصاراً وتقريباً للفهم.

(٣) قرأ نافع: (حقيق عليّ) بياء الضمير المشدّدة وهي بمعنى: واجب عليّ خبر ثانٍ لأنّ في قوله: ﴿إنّي رسول من ربّ العالمين﴾ وقرأ غيره (على) حرف جرّ أي: محقوق بأن لا أقول على الله إلاّ الحق، فحقيق: فعيل بمعنى مفعول كقتيل بمعنى مقتول.

جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾

شرح الكلمات :

ثم بعثنا من بعدهم : أي من بعد نوح وهود وصالح ولوط وشعيب .

موسى : هو موسى بن عمران من ذرية يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم عليه السلام .

بآياتنا : هي تسع آيات : العصا ، واليد ، والسنون المجدبة ، والدم ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والطمس على أموال فرعون .

إلى فرعون : أي بعث موسى الرسول إلى فرعون وهو الوليد بن مصعب بن الريان ، ملك مصر .

وملئه : أي أشراف قومه وأعيانهم من رؤساء وكبراء .

فظلموا بها : أي ظلموا أنفسهم بالآيات وما تحمله من هدى حيث كفروا بها .

بينة من ربكم : حجة قاطعة وبرهان ساطع على أني رسول الله إليكم .

ونزع يده : أخرجها بسرعة من جيبه .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى﴾ هذا شروع في ذكر القصص السادس مما اشتملت عليه سورة الأعراف ، وهي قصص موسى عليه السلام مع فرعون وملئه . قال تعالى وهو يقص على نبيه ليثبت به فؤاده ، ويقرر به نبوته ، ويعظ أمته ، ويذكر به قومه ﴿ثم بعثنا من بعدهم﴾ أي من بعد نوح وهود وصالح ولوط وشعيب موسى بن عمران إلى فرعون وملئه من رجالات ملكه ودولته ، وقوله بآياتنا . هي تسع آيات لتكون حجة على صدق

رسالته وأحقية دعوته. وقوله تعالى ﴿فظلموا بها[1]﴾ أي جحدوها ولم يعترفوا بها فكفروا بها وبذلك ظلموا أنفسهم بسبب كفرهم بها، واستمروا على كفرهم وفسادهم حتى أهلكهم الله تعالى بإغراقهم، ثم قال لرسوله ﴿فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ أي دماراً وهلاكاً وهي عاقبة كل مفسد في الأرض بالشرك والكفر والمعاصي. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٠٣) وأما الآيات بعدها فإنها في تفصيل أحداث هذا القصص العجيب. وأتى موسى فرعون وقال ﴿يافرعون[2] إني رسول من رب العالمين، حقيق﴾ أي جدير وخليق بي ﴿أن لا أقول على الله إلا الحق، قد جئتكم ببينة من ربكم﴾ دالة على صدقي شاهدة بصحة ما أقول ﴿فأرسل[3] معي بني إسرائيل﴾ لأذهب بهم إلى أرض الشام التى كتب الله لهم وقد كانت دار آبائهم. وهنا تكلم فرعون وطالب موسى بالآية التي ذكر أنه جاء بها فقال ﴿إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين﴾ أي فيما تدعيه وتقول به وتدعوا إليه. وهنا ألقى موسى عصاه أي أمام فرعون المطالب بالآية ﴿فإذا هي ثعبان مبين﴾ أي حية عظيمة تهتز أمام فرعون وملئه كأنها جان،[4] هذه آية وزاده أخرى فأدخل يده في جيبه كما علمه ربه ونزعها ﴿فإذا هي بيضاء للناظرين﴾ بيضاء بياضاً غير معهود مثله في أيدي الناس. هذا ما تضمنته هذه الآيات الخمس في هذا السياق.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ بيان سوء عاقبة المفسدين بالشرك والمعاصي.

٢ـ تذكير موسى فرعون بأسلوب لطيف بأنه ليس رباً بل هناك رب العالمين وهو الله رب موسى وهرون والناس أجمعين.

---

(١) ﴿فظلموا بها﴾ أي: ظلموا أنفسهم بالتكذيب بالآيات، وجائز أن يكون ظلموا بسببها غيرهم ممن منعوهم من الإيمان بها إذ هدّدوهم بالقتل وجائز أن يضمّن الظلم هنا معنى الكفر أي كفروا بها وهو صحيح المعنى.

(٢) فرعون: علم جنس لمن يملك مصر في القديم ككسرى: لكل من يملك فارساً وقيصر: لكل من يملك الروم ونمرود: لمن ملك الكنعانيين، والنجاشي: للأحباش، وتبع، لحمير ونداء موسى له بقوله يا فرعون: فيه نوع احترام، إذ ناداه بعنوان الملك والسلطان.

(٣) الفاء تفريعية أي: ما بعدها متفرّع عمّا قبلها.

(٤) الجانّ: هنا حية أكحل العينين تسكن البيوت لا تؤذى كثيرة التقلّب والاهتزاز.

٣- تقرير مبدأ الصدق لدى الرسل عليهم السلام.

٤- ظهور آيتين لموسى العَصَا واليد.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾

شرح الكلمات:

ساحر عليم : أي ذو علم بالسحر خبير به ليس مجرد مدّع.

من أرضكم : أي من بلادكم ليستولى عليها ويحكمكم.

فماذا تأمرون : أي أشيروا بما ترون الصواب في حل هذا المشكل.

أرجه : أي أمهله وأخاه لا تعجل عليهماقبل اتخاذ ما يلزم من الاحتياطات.

في المدائن : مدن المملكة الفرعونية.

حاشرين : رجالاً يجمعون السحرة الخبراء في فن السحر للمناظرة.

معنى الآيات:

مازال السياق في تفصيل قصص موسى مع فرعون فبعد أن تقدم موسى بما طلب فرعون منه من الآية فأراه آية العصا، واليد، وشاهد الملأ من قوم فرعون الآيتين العظيمتين قالوا ﴿إن هذا لساحر عليم﴾ وذلك لما بهرتهم الآيتان تحول العصا إلى حية عظيمة واليد بيضاء من غير سوء كالبرص بل بياضها عجبٌ[1] حتى لكأنها فلقة قمر أي قطعة منه، واتهموا موسى فوراً بالسياسة وأنه يريد بهذا إخراجكم من بلادكم ليستولي عليها هو وقومه من بني إسرائيل، وهنا تكلم فرعون وقال: ﴿فماذا تأمرون[2]﴾ أي بم تشيرون عليّ أيها الملأ والحال كما ذكرتم؟ فأجابوه قائلين ﴿أرجه[3] وأخاه﴾ أي أوقفهما عندك ﴿وأرسل في المدائن حاشرين[4]﴾

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان ليد موسى نور ساطع يضيء ما بين السماء والأرض.

(٢) يرى بعضهم أنّ المستفهم غير فرعون، الصحيح أنه فرعون لانهزامه معنوياً.

(٣) قرأ ورش: ﴿أرجه﴾ بإشباع كسرة الهاء، وقرأ الجمهور ﴿أرجه﴾ بإسكان الهاء، وقرأ بعضٌ بكسر الهاء بدون مدّ.

(٤) قيل هي صعيد مصر إذ هو مقرّ العلماء بالسحر، والمدائن جمع مدينة وتجمع على مدن واصل اشتقاقها من مدن بالمكان إذا أقام به.

أي رجالاً من الشرط يحشرون أي يجمعون أهل الفن من السحرة من كافة أنحاء الإيالة أي الإقليم المصري، وأجر معه مناظرة فإذا انهزم انتهى أمره وأمنا من خطره على بلادنا وأوضاعنا. هذا ما دلت عليه الآيات الأربع في هذا السياق.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- جهل الملأ بالآيات أدى بهم إلى أن قالوا إن موسى ساحر عليم.

٢- مكر الملأ وخبثهم إذ اتهموا موسى سياسياً بأنه يريد الملك وهو كذب بحت وإنما يريد إخراج بني إسرائيل من مصر حيث طال استعبادهم وامتهانهم من قبل الأقباط وهم أبناء الأنبياء وأحفاد إسرائيل واسحق وابراهيم عليهم السلام.

٣- فضيحة فرعون حيث نسي دعواه الربوبية، فاستشار الملأ في شأنه، إذ الربُّ الحق لا يستشير عباده فيما يريد فعله لأنه لا يجهل ما يحدث مستقبلاً.

٤- السحر صناعة من الصناعات يتعلم ويبرع فيها المرء، ويتقدم حتى يتفوق على غيره.

٥- حرمة السحر وحرمة تعلمه، ووجوب إقامة الحد على من ظهر عليه وعرف به.

وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾

شرح الكلمات :

السحرة : جمع ساحر وهو من يتقن فن السحر ويؤثر في أعين الناس بسحره.

إن لنا لأجراً : أي ثواباً من عندك أي أجراً تعطيناه إن نحن غلبنا.

نحـن الملقيـن : لعصيّـنا.

سحروا أعين الناس : حيث صار النظارة في الميدان يشاهدون عصي السحر وحبالهم يشاهدونها حيات وثعابين تملأ الساحة.

واسترهبوهم : أي أدخلوا الرهب والرعب في قلوب الناس من قوة أثر السحر في عيونهم.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في الحوار الدائر بين موسى عليه السلام من جهة وبين فرعون وملئه من جهة أخرى، فقد جاء في الآيات السابقة أن الملأ أشاروا على فرعون بأن يحبس موسى وأخاه هارون ويرسل شرطة في المدن يأتون بالخبراء في فن السحر لمناظرة موسى عسى أن يغلبوه، وفعلاً أرسل فرعون في مدنه حاشرين يجمعون خبراء السحر، وها هم أولاء قد وصلوا قال تعالى ﴿وجاء السحرة فرعون﴾[1] وعرفوا أن الموقف جد صعب على فرعون فطالبوه بالأجر العظيم إن هم غلبوا موسى وأخاه فوافق فرعون على طلبهم، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وجاء السحرة فرعون قالوا إن[2] لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين؟ قال نعم﴾ وزادهم أيضاً أن يجعلهم من خواصه ورجال قصره فقال ﴿وإنكم لمن المقربين﴾ أي لدينا. وهنا تقدموا لموسى وكأنهم على ثقة في قوتهم السحرية وأن الجولة ستكون لهم، تقدموا بإلقاء آلاتهم السحرية أو تقدم موسى عليهم فقالوا ﴿يا موسى[3] إما أن تلقي، وإما أن نكون نحن الملقين﴾ أي الق عصاك أو نلقى نحن عصينا فقال لهم موسى ﴿ألقوا﴾[4] فألقوا فعلاً فسحروا أعين[5] الناس وجاءوا بسحر عظيم كما أخبر تعالى الأمر الذي استرهب النظارة حتى إن موسى عليه السلام أوجس في نفسه خيفة فنهاه ربه تعالى عن ذلك وأعلمه أنه الغالب بإذن الله تعالى جاء هذا الخبر في سورة طه.

---

(١) لقد ذكر القرطبي في عدد السحرة أخباراً مثلها لا يصح، إذ جاء في بعضهم أنّ عددهم كان سبعين ألف ساحر، والأقرب إلى أن يكونوا سبعين رجلا.

(٢) قرىء في السبع بهمزة الاستفهام ﴿أئن لنا لأجراً﴾ وقرىء بدونها ﴿إنّ لنا لأجراً﴾.

(٣) قال القرطبي: تأدّبوا مع موسى إذ استشاروه فيمن يبدأ بالإلقاء فنفعهم الله بأدبهم مع نبيّه فأسلموا وسعدوا برضوان الله تعالى.

(٤) في إذنه لهم بالإلقاء توفيق ربّاني عظيم إذ معناه أنه احتفظ بالضربة الأخيرة وصاحبها يغلب بإذن الله دائما.

(٥) أي: خيّلوا لهم وقلبوها عن صحة إدراكها بما يتخيل من التمويه الذي جرى مجرى الشعوذة وخفة اليد.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ مشروعية طلب الأجرة على العمل الذي يقوم به الإنسان خارجاً عن نطاق العبادة.

٢ـ مشروعية الترقيات الحكومية لذي الخدمة الجُلى للدولة.

٣ـ تأثير السحر على أعين الناس حقيقة بحيث يرون الشيء على خلاف ما هو عيله إذ العصي والحبال استحالت في أعين الناس إلى حيات وثعابين.

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾

شـرح الكلـمات :

تلـقف : تأخذ بسرعة فائقة وحذق عجيب.

ما يأفكـون : ما يقلبون بسحرهم وتمويههم.

فوقع الحـق : ثبت وظهر.

صـاغريـن : ذليليـن.

سـاجـدين : ساقطين على وجوههم سجداً لربهم رب العالمين.

معنى الآيـات :

مازال السياق في المناظرة أو المباراة بين موسى عليه السلام وسحرة فرعون، فبعد أن ألقى السحـرة حبـالهم وعصيهم في الساحة وانقلبت بالتمويه السحري حيات وثعابين ورهب الناس من الموقف وظن فرعون وملأه أنهم غالبون أوحى الله تعالى إلى موسى أن يلقي عصاه فألقاها ﴿فإذا هيَ[1] تلقف ما يأفكون﴾ أي تأخذه وتبتلعه وبذلك وقع الحق أي ظهر وثبت

(١) قرىء (تَلْقف) و(تلَقّف) بتضعيف القاف، والأصل: تتلقف فحذف احدى التاءين تخفيفاً، وقرىء في الشاذ: تلقّم بالميم بدل الفاء، ومعنى الكلّ تبتلع بسرعة وتزدرده، وصيغة المضارع في الفعلين لاستحضار الماضي كأنه حاضر ليكون أوقع في النفس.

واستقر ﴿وبطل ما كانوا يعملون﴾ أي السحر والتمويه وقوله تعالى ﴿فغلبوا﴾ أي فرعون وملأه وقومه ﴿هنالك﴾ أي في ساحة المباراة والمناظرة ﴿وانقبلوا﴾ إلى ديارهم ﴿صاغرين﴾ أي ذليلين مهزومين. وقوله تعالى ﴿وألقي السحرة ساجدين﴾ أي إنهم بعد أن شاهدوا الآية الكبرى بهرتهم فخروا ساجدين كأنما ألقاهم[1] أحد على وجه الأرض لا حراك لهم وهم يقولون[2] ﴿آمنا برب العالمين رب موسى وهرون﴾ وضمن ذلك فقد كفروا بربوبية فرعون الباطلة، لأن الإيمان بالله سيلزم الكفر بما عداه، ولذا قالوا ﴿آمنا برب العالمين رب موسى وهارون﴾ تلويحاً بكفرهم بفرعون الطاغية وبكل إله غير الله.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ بيان سنته تعالى في أن الحق والباطل إذا التقيا في أي ميدان فالغلبة للحق دائمًا.

٢ـ بطلان السحر وعدم فلاح أهله ولقوله تعالى من سورة طه ﴿ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾.

٣ـ فضل العلم وأنه سبب الهداية فإيمان السحرة كان ثمرة العلم، إذ عرفوا أن ما جاء به موسى ليس سحراً وإنما هو آية له من الله فآمنوا.

٤ـ مظهر من مظاهر القضاء والقدر فالسحرة أصبحوا كافرين وأمسوا مسلمين.

قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾

---

(١) أي: ألقوا أنفسهم على الأرض، وبني الفعل للمجهول لظهور الفاعل وهو أنفسهم.

(٢) قالوا آمنّا بربّ العالمين حال هو يهم للسجود إعلاماً منهم أنهم ما سجدوا لفرعون كما يفعل الأقباط، وإنّما سجدوا لله رب العالمين ربّ موسى وهارون.

شرح الكلمات :

آمنتم به : أي صدقتموه فيما جاء به ودعا إليه.

مكر مكرتموه : أي حيلة احتلتموها وتواطأتم مع موسى على ذلك.

من خلاف : بأن يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى أو العكس.

ثم لأصلبنكم : التصليب: الشد على خشبة حتى الموت.

منقلبون : أي راجعون.

وما تنقم منا : أي وما تكره منا وتنكر علينا إلا إيماننا بآيات ربنا لما جاءتنا.

أفرغ علينا صبراً : أي افض علينا صبراً قوياً حتى نثبت على ما توعدنا فرعون من العذاب ولا نرتد بعد إيماننا.

معنى الآيات :

ما زال السياق في أحداث قصص موسى وفرعون ففي الآيات قبل هذه تمت المناظرة بين موسى والسحرة بنصر موسى عليه السلام وهزيمة فرعون النكراء حيث سحرته بعد ظهور الحق لهم واضحاً مكشوفاً آمنوا وأسلموا وسجدوا لله رب العالمين. وفي هذه الآيات يخبر تعالى عن محاكمة فرعون للسحرة فقال عز من قائل ﴿قال فرعون﴾ أي للسحرة ﴿آمنتم[1] به﴾ أي بموسى ﴿قبل أن أذن لكم﴾ أي في الإيمان به، وهي عبارة فيها رائحة الهزيمة والحمق، وإلا فهل الإيمان يتأتى فيه الإذن وعدمه، الإيمان إذعان باطني لا علاقه له بالإذن إلا من الله تعالى، ثم قال لهم ﴿إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها﴾ أي إن هذا الذي قمتم به من ادعاء الغلب لموسى بعدما اظهرتم الحماس في بداية المباراة ما هو إلا مكر وتدبير خفي تم بينكم وبين موسى في المدينة قبل الخروج إلى ساحة المباراة، والهدف منه إخراجكم الناس[2] من المدينة واستيلائكم عليها. ثم تهددهم وتوعدهم بقوله ﴿فسوف تعلمون﴾ ما أنا صانع بكم. وذكر ما عزم عليه فقال مقسماً ﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ يريد بقطع من كل واحد منهم يده اليمنى ورجله اليسرى، ثم يربطهم على أخشاب في ساحة معينة ليموتوا كذلك نكالاً وعبرة لغيرهم. هذا ما أعلنه فرعون وصرح به

---

(١) الاستفهام هنا للانكار والتهديد أي: ينكر على السحرة إيمانهم ويهددهم بالبطش بهم والتنكيل.

(٢) قد يكون المراد بعض الناس وهم بنوا اسرائيل إذ موسى جاء يطالب بهم ليخرج بهم إلى أرض القدس.

للسحرة المؤمنين فما كان جواب السحرة ﴿قالوا إنا إلى ربنا منقلبون﴾ أي راجعون فقتلك إيانا لم يزد على أن قربنا من ربنا وردنا إليه ونحن في شوق إلى لقاء ربنا، وعليه فحكمك بقتلنا ما هو بضائرنا، وشيء آخر هو أنك ﴿ما تنقم[1] منا﴾ يا فرعون أي ما تكره منا ولا تنكر علينا إجراماً أجرمناه أو فساداً في الأرض اشعناه إنما تنقم منا إيماننا بآيات ربنا لما جاءتنا وهذا شيء لا مذمة فيه علينا، ولا عاراً يلحقنا، فلذا ﴿اقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾ ثم أقبلوا على الله ورفعوا أيديهم إليه وقالوا ضارعين سائلين ﴿ربنا أفرغ علينا صبراً﴾ حتى نتحمل العذاب في ذاتك ﴿وتوفنا مسلمين[2]﴾، ونفذ فرعون[3] جريمته ولكن أحدث ذلك اضطراباً في البلاد ولم يكن فرعون ولا ملأه يتوقعون دل عليه الآيات التالية.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ القلوب المظلمة بالكفر والجرائم أصحابها لا يتورعون عن الكذب واتهام الأبرياء.

٢ـ فضيلة الاسترجاع أن يقول ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ حيث فزع إليها السحرة لما هددهم فرعون إذ قالوا ﴿إنا إلى ربنا منقلبون﴾ أي راجعون فهان عليهم ما تهددوا به.

٣ـ مشروعية سؤال الصبر على البلاء للثبات على الإيمان.

٤ـ فضل الوفاة على الإسلام وأنه مطلب عال لأهل الإيمان.

وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ

(١) يقال: نقَم ينقم من باب ضرب، نقْما ونقَما على أنه من باب تعِب تعبا إذا أنكر الفعل وكره صدوره وحقد على فاعله، ويكون بالقول والفعل.

(٢) كلمة الإسلام معروفة في كل زمان ومكان بين المؤمنين ويعبر عنها كل قوم بلغتهم إذ معناها الانقياد لله مع حبّه تعالى وتعظيمه والشوق إليه.

(٣) لم يرد في القرآن ما يدل على أنّ فرعون نفّذ وعيده في السحرة أو لم ينفذه، وعدم ذكر القرآن له لأنه خال من الفائدة، وذكر القرطبي بصيغة التمريض فقال: قيل إنّ فرعون أخذ السحرة وقطعهم على شاطىء النهر وأنّه آمن بموسى عند إيمان السحرة ستمائة ألف والله أعلم.

ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾

شرح الكلمات :

قال الملأ : أي لفرعون.

أتذر : أي أتترك.

وقومه : أي بني إسرائيل.

ليفسدوا في الأرض : أي في البلاد بالدعوة إلى مخالفتك، وترك طاعتك.

وآلهتك : أصناماً صغاراً وضعها ليعبدها الناس وقال أنا ربكم الأعلى وربها.

نستحيي نساءهم : نبقي على نسائهم لا تذبحهن كما تذبح الأطفال الذكور.

ويستخلفكم في الأرض : أي يجعلكم خلفاء فيها تخلفون الظالمين بعد هلاكهم.

معنى الآيات :

ما زال السياق في أحداث قصص موسى وفرعون انه بعد انتصار موسى في المباراة وإيمان السحرة ظهر أمر موسى واتبعه ستمائة ألف من بني إسرائيل، وخاف قوم فرعون من إيمان الناس بموسى وبما جاء به من الحق قالوا لفرعون على وجه التحريض والتحريك له ﴿أتذر موسى وقومه﴾ يريدون بني إسرائيل ﴿ليفسدوا في الأرض﴾ أي أرض مصر بإفساد خدمك وعبيدك[1] ﴿ويذرك وآلهتك[2]﴾ أي ويتركك فلا يخدمك ولا يطيعك ويترك آلهتك فلا

(١) وإيقاع الفرقة وتشتيت الشمل أيضاً.

(٢) وقرىء ﴿وإلهتك﴾ أي: عبادتك وعلى هذا فإنه كان يَعْبُد ولا يُعبد والوجه الأوّل أظهر.

يعبدها إذ كان لفرعون أصنام يدعو الناس لعبادتها لتقربهم إليه وهو الرب الأعلى للكل.
وبعد هذا التحريش والإغراء من رجال فرعون ليبطش بموسى وقومه قال فرعون ﴿سنقتل[1] أبناءهم ونستحيي نساءهم﴾ كما كان يفعل قبل عندما أخبر بأن سقوط ملكه سيكون على يد بني إسرائيل ﴿وإنا فوقهم قاهرون﴾ هذه الكلمة من فرعون في هذا الظرف بالذات لا تعد وأن تكون تعويضاً عما فقد من جبروت ورهبوت كان له قبل هزيمته في المباراة وإيمان السحرة برب العالمين رب موسى وهارون. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٢٧) وهي قوله تعالى ﴿وقال الملأ من قوم فرعون: أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض، ويذرك وآلهتك. قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم، وإنا فوقهم قاهرون﴾ وكان رد موسى عليه السلام على هذا التهديد والوعيد الذي أرعب بني إسرائيل وأخافهم ما جاء في الآية الثانية (١٢٨) ﴿وقال موسى لقومه﴾ أي من بني إسرائيل ﴿استعينوا بالله﴾ على ما قد ينالكم من ظلم فرعون، وما قد يصيبكم من أذى انتقاماً لما فقد من علوه وكبريائه ﴿واصبروا﴾ على ذلك، واعلموا ﴿ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾ فمتى صبرتم على ما يصيبكم فلم تجزعوا فترتدوا، واتقيتم الله ربكم فلم تتركوا طاعته وطاعة رسوله أهلك عدوكم وأورثكم أرضه ودياره، وسبحان الله هذا الذي ذكره موسى لبني إسرائيل قد تم حرفياً بعد فترة صبر فيها بنو إسرائيل واتقوا كما سيأتي في هذا السياق بعد كذا آية، وهنا قال بنو إسرائيل ما تضمنته الآية الأخيرة (١٢٩) ﴿قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا﴾ بما أتيتنا به من الدين والآيات، وذلك عندما كان فرعون يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم للخدمة ﴿ومن بعدما جئتنا﴾ وهذه منهم كلمة الآيس المهزوم نفسياً لطول ما عانوا من الاضطهاد والعذاب من فرعون وقومه الأقباط. فأجابهم موسى عليه السلام قائلا: محيياً الأمل في نفوسهم وإيصالهم بقوة الله التى لا تقهر ﴿عسى[2] ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف[3] تعملون﴾ وهذا الذي رجاه موسى ورجاه بني إسرائيل قد تم كاملاً بلا نقصان والحمد لله الكريم المنان.

---

(١) آنس قومه بهذه الجملة من الكلام وأذهب عنهم روح الهزيمة، ولم يقل سنقتل موسى لعلمه أنه لا يقدر عليه ولما أصابه من الرّعب منه حتى قيل: إنه كان إذا رآه يبول من شدّة الخوف منه وهي آية موسى عليه السلام.

(٢) عسى من الله واجب أي ليست للرجاء فقط بل ما يذكر معها يقع لا بدّ ولا يتخلف، ولذا قد تحقق ما ذكر معها هنا كاملا لا نقص فيه.

(٣) كيف : ليست للاستفهام هنا وإنّما هي دالة على مجرّد كيفية أعمالهم هل هي أعمال صالحة أو فاسدة أي: هل يشكرون؟

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ خطر بطانة السوء على الملوك والرؤساء تجلت في إثارة فرعون ودفعه إلى البطش بقولهم ﴿أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض. . . الخ﴾.

٢ـ بيان فضيلة الصبر والتقوى وأنها مفتاح النصر وإكسير الكمال البشري.

٣ـ النفوس المريضة علاجها عسير ولكن بالصبر والمثابرة تشفى إن شاء الله تعالى.

٤ـ بيان صدق ما رجاه موسى من ربه حيث تحقق بحذافيره.

٥ـ استحسان رفع معنويات المؤمنين بذكر حسن العاقبة والتبشير بوعد الله لأوليائه أهل الإيمان والتقوى.

وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾

شـرح الكلـمات :

أخذنا آل فرعون بالسنين[1] : أي عاقبناهم بِسِنِي الجدب والقحط.

---

(١) يقال: أصابتهم سنة أي: جدب وتقديره: جدب سنة وفي الحديث: (اللّهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف) دعاء على قريش.

ونقص من الثمرات : بالجوائح تصيبها، وبعدم صلاحيتها.

الحسـنة : ما يحسن من خصب ورخاء وكثرة رزق وعافية.

سـيئة : ضد الحسنة وهي الجدب والغلاء والمرض.

يطيروا بموسى[1] : أي يتشاءمون بموسى وقومه.

الطوفان والجراد والقمل والضفادع : الطوفان الفيضانات المغرقة، والجراد معروف بأكل الزرع والثمار، والقمل جائز أن يكون القمل المعروف وجائز أن يكون السوس في الحبوب، والضفادع جمع ضفدعة. حيوان يوجد في المياه والمستنقعات.

والـدم : والدم معروف قد يكون دم رعاف أو نزيف، أو تحول الماء ماء الشرب الى دم عبيط في أوانيهم وأفواههم آية لموسى عليه السلام.

فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين : حيث لم يؤمنوا بهذه الآيات. أي مفسدين حيث حكم بإهلاكهم.

معنى الآيات :

ما زال السياق في قصص موسى مع آل فرعون انه لما شاهد فرعون وآله آية العصا وانهزام السحر أمامهم وإيمان السحرة حملهم الكبر على مواصلة الكفر والعناد فأصابهم الرب تعالى بجفاف وقحط سنوات لعلهم يذكرون، ولم يذكروا فحول الله تعالى جدبهم الى خصب، وبلاءهم إلى عافية فلم يرجعوا وقالوا في الرخاء هذه لنا نحن مستحقوها وجديرون بها، وقالوا في القحط والبلاء قالوا هذه من شؤم موسى وبني إسرائيل، قال تعالى ﴿ألا أنما طائرهم عند الله﴾ وذلك لأنه مدبر الأمر وخالق كل شيء وجاعل للحسنة أسبابها وللسيئة أسبابها ولكن أكثرهم لا يعلمون فلذلك قالوا اطيرنا بموسى ومن معه وأصروا على الكفر ولجوا في المكابرة والعناد حتى قالوا لموسى ﴿مهما[2] تأتنا به من آية

---

(١) أصل الكلمة: يتطيّروا فأدغمت التاء في الطاء لأنّ مخرجهما واحد، والطير والتطير مأخوذ من زجر الطير. إذ كانوا إذا أرادوا عملا ما سفراً ونحوه يزجرون الطير فإن تيامن في طيرانه أقدموا على العمل، وإن تشاءم تركوا فهذا أصل اليمن والشؤم كان في الجاهلية وأبطله الإسلام. قال رسول الله ﷺ: (الطيرة شرك ثلاثاً) وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل وعلّمهم أن يقولوا: (اللهم لا طير إلّا طيرك ولا خير إلّا خيرك ولا إله غيرك).

(٢) أصل مهما: ما. ما الأولى شرطية والثانية زائدة توكيدا للجزاء فكرهوا حرفين من جنس واحد متجاورين فأبدلوا الألف هاء ففصلت بين الميمين.

لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين﴾ ولو علموا ما أصروا على الكفر ولما قالوا ما قالوا فأسباب الحسنة الإيمان والتقوى، وأسباب السيئة الكفر والمعاصي، إذ المراد بالحسنة والسيئة هنا: الخير والشر. وهنا وبعد هذا الإصرار والعناد والمكابرة رفع موسى يديه إلى ربه يدعوه فقال: يارب إن عبدك فرعون علا في الأرض وبغا وعتا، وأن قومه قد نقضوا العهد فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نقمة، ولقومي عظة، ولمن بعدهم آية، فاستجاب الله تعالى دعاءه فأرسل عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع[1] والدم فأخذهم الطوفان أولاً فكادوا يهلكون بالغرق فجاءوا موسى وطلبوا منه أن يدعو ربه ليرفع عنهم هذا العذاب فإن رفعه عنهم آمنوا وأرسلوا معه بني إسرائيل فدعا ربه واستجاب الله تعالى فأخذوا شهراً في عافية فطلب منهم موسى ما وعدوه به فتنكروا لوعدهم وأصروا على كفرهم فأرسل الله تعالى عليهم الجراد[2] فأكل زروعهم وأشجارهم وثمارهم حتى ضجوا وصاحوا وأتوا موسى وأعطوه وعودهم إن رفع الله عنهم هذا العذاب آمنوا وأرسلوا معه بني إسرائيل فرفع الله عنهم ذلك فلبثوا مدة آمنين من هذه العاهة وطالبهم موسى بوعدهم فتنكروا له، وهكذا حتى تمت الآيات الخمس مفصلات ما بين كل آية وأخرى مدة تقصر وتطول فاستكبروا عن الإيمان والطاعة وكانوا قوماً مجرمين مفسدين لا خير فيهم ولا عهد لهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ من تدبير الله تعالى أخذه عباده بالشدائد لعلهم يذكرون فيتعظون ويتوبون.

٢ـ بطلان التطير مطلقاً، وإنما الشؤم في المعاصي بمخالفة شرع الله فيترتب على الفسق والعصيان البلاء والعذاب.

٣ـ الجهل سبب الكفر والمعاصي وسوء الأخلاق وفساد الأحوال.

٤ـ عدم إيمان آل فرعون مع توارد الآيات عليهم دال على أن إيمانهم لم يسبق به القدر. كما هو دال على أن الآيات المعجزات لا تستلزم الإيمان بالضرورة.

٥ـ التنديد بالإجرام وهو إفساد النفس بالشرك والمعاصي.

---

(١) صح النهي عن النبي ﷺ (عن قتل الصُّرد والضفدع والنملة والهدهد) من رواية أبي داود وأحمد وابن ماجه.

(٢) اختلف في قتل الجراد، وأجمعوا أنه إذا أفسد جاز قتله. وأجمعوا على جواز أكله بأكل الرسول ﷺ منه هو وأصحابه في بعض الغزوات.

وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ
ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن
كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ
إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ
هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ
فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾
وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ
ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ
ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ
يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

شرح الكلمات :

الرجز : العذاب وهو الخمسة المذكورة في آية (١٣٣) الآنفة الذكر.

إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون : المراد من الأجل أنهم كانوا إذا سألوا موسى أن يدعو ربه ليرفع عنهم العذاب ويعدونه بالإيمان وإرسال بني إسرائيل معه فيرفع الله عنهم العذاب فيمكثون زمنا ثم يطالبهم موسى بالإيمان وإرسال بني إسرائيل فيأبون عليه ذلك وينكثون عهدهم.

فانتقمنا منهم : أي أنزلنا بهم نقمتنا فأغرقناهم في اليم الذي هو البحر.

الذين كانوا يستضعفون	: هـم بنو إسرائيل.
مشارق الأرض ومغاربها	: هي أرض مصر والشـام.
وتمّت كلمـة ربـك الحسنى	: هي وعده تعالى لهم في قوله ﴿ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾ ـ من سورة القصص ـ.
وما كانوا يعرشون[1]	: أي يرفعون من مباني الدور والقصور العالية.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في قصص موسى مع فرعون وقومه، وهذه هي الآيات الأخيرة في هذا القصص. إنه لما وقع عليهم الرجز وهو العذاب المفصّل[2] الطوفان فالجراد، فالقمل، فالضفادع، فالدم ﴿قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك﴾[3] أي من كشف العذاب عنا إن نحن آمنا بك وبما جئت به وبما تطالب به من إرسال بني إسرائيل معك وحلفوا وقالوا ﴿لئن كشفت عنا الرجز﴾ ﴿لنؤمن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل﴾ قال تعالى: ﴿فلما كشف عنهم الرجز﴾ أي العذاب ﴿إلى أجل هم بالغوه﴾ إلىٰ وقت ينتهون إليه ﴿إذ هم ينكثون﴾[4] عهودهم ولم يؤمنوا ولم يرسلوا بني إسرائيل وكان هذا ما بين كل آية وآية حتى كانت الخمس الآيات، ودقت ساعة هلاكهم قال تعالى ﴿فأغرقناهم في اليم﴾ وهو البحر الملح أي أغرق فرعون وجنده ورجال دولته وأشراف بلاده، ثم ذكر تعالى علة هذا الهلاك الذي حاق بهم ليكون عبرة لغيرهم وخاصة قريش التي ما زالت مصرة على الشرك والتكـذيب، فقال تعالى ﴿بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾ كما هي الحال في

---

(١) ﴿بما عهد عندك﴾ الباء لتعدية فعل الدعاء، وما موصولة مبهم أي: ادعه بما علمك ربك من وسائل إجابة دعائك عنده ليكشف عنا الرّجز.

(٢) أصل النكث: هو نقض المفتول من حبل وغزل واستعير لعدم الوفاء بالعهد.

(٣) شبّه البناء العالي الرفيع بالعرش يقال: عرش يعرش عرشا: إذا رفع البناء أو السرير والعنب والدوالي يعرش لها بناء من خشب ليرفعها عليه.

(٤) وقيل إنه طاعون قتل منهم سبعين ألف نسمة إذ لفظ الرجز دالّ على مرض الطاعون لقوله تعالى: ﴿فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون﴾.

قريش ومشركي العرب وكفارهم. وختم تعالى هذا القصص قصص موسى مع فرعون بقوله ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون﴾ وهم بنو إسرائيل حيث استعبدهم فرعون الظالم وآله زمناً غير قصير ﴿مشارق الأرض ومغاربها[1]﴾ وهي أرض مصر والشام إذ الكل مما بارك الله تعالى فيه إلا أن أرض الشام أولاً ثم أرض مصر ثانياً، إذ دخل بنو إسرائيل أرض فلسطين بعد وفاة موسى وهارون حيث غزا بهم يوشع بن نون العمالقة في أرض فلسطين وفتح البلاد وسكنها بنو إسرائيل وقوله تعالى ﴿وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا﴾ والمراد من كلمة الله قوله في سورة القصص ﴿ونريد أن نمنّ على الـذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين، ونمكن لهم في الأرض، ونري فرعون وهامان وجنودهما ما كانوا يحذرون﴾ وقوله تعالى ﴿ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه﴾ من سلاح وعتاد ومبان شداد، وقصور رفيعة البنيان، ﴿وما كانوا يعرشون﴾ ويرفعون ويعلون من صروح عالية، وحدائق أعناب زاهية زاهرة وأورث أرضهم وديارهم وأموالهم قوماً آخرين غيرهم، والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. إلى هنا انتهى قصص موسى عليه السلام مع فرعون وملائه وكانت العاقبة له والحمد لله.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ ضعف الإنسان يظهر عند نزول البلاء به حيث يفزع إلى الله تعالى يدعوه ويضرع إليه وعند رفعه حيث ينسى ما نزل به ويعود إلى عاداته وما كان عليه من الشرك والمعاصي إلا من آمن وعمل صالحاً فإنه يخرج من دائرة الضعف حيث يصبر عند البلاء ويشكر عند النعماء.

٢ـ سبب العذاب في الدنيا والآخرة التكذيب بآيات الله بعدم الإيمان والعمل بها، والغفلة عنها حيث لا يتدبّر ولا يفكر فيها وفي ما نزلت لأجله.

٣ـ مظاهر قدرة الله، وصادق وعده، وعظيم منته على خلقه، وحسن تدبيره فيهم فسبحانه من إله عليم حكيم. رؤوف رحيم.

---

(١) كما يصدق هذا على أرض الشام إذلها مشارق ومغارب، ومن بينها الأرض المقدّسة أرض فلسطين يصدق أيضاً على أرض مصر وغيرها إذ مملكة بني اسرائيل على عهد سليمان كانت قد انتظمت المعمورة كلّها.

وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾

شرح الكلمات :

وجاوزنا ببني إسرائيل البحر : أي قطعنا بهم فاجتازوه إلى ساحله.

يعكفون على أصنام لهم : يجلسون إلى تماثيل بقر منحوتة من حجر.

اجعل لنا إلهاً : أي معبوداً يريدون تمثالاً كالذي شاهدوا.

تجهلون : أي أنّا العبادة لا تكون إلا لله تعالى.

متبرما هم فيه : هالك خاسر لا يكسبهم خيراً ولا يدفع عنهم شراً.

وإذ نجيناكم : أي واذكروا نعم الله عليكم بإنجائه إياكم من آل فرعون.

يسومونكم سوء العذاب : يوردونكم موارد الردى والهلاك بما يصيبونكم به من عذاب.

بلاء من ربكم : أي اختبار وامتحان قاسٍ شديد.

معنى الآيات :

هذا بداية قصص جديد لنبي الله تعالى موسى مع قومه من بني إسرائيل إنه بعد هلاك فرعون وجنوده في اليم، انتهى الكلام على دعوة موسى لفرعون وملئه، وبذلك استقبل موسى وأخوه هارون مشاكل جديدة مع قومهما انه بعد أن جاوز تعالى ببني إسرائيل البحر

ونـزلوا على شاطئه سالمين مرّوا بأناس يعكفون[١] على تماثيل لهم وهي عبارة عن أبقار حجرية منحوتة نحتاً يعبدونها وهم عاكفون عليها وما إن رأى بنو إسرائيل هؤلاء العاكفين على الأصنام حتى قالوا لموسى يا موسى اجعل لنا إلها كما لهؤلاء آلهة، وهي كلمة دالة على جهـلٍ بالله تعالى وآياته، . فما كان من موسى عليه السلام حتى جابههم بقوله: ﴿إنكم قوم تجهلون﴾ وواصل تأنيبه لهم وإنكاره الشديد عليهم فقال ﴿إن هؤلاء﴾ أي العاكفين على الأصنام والذين غرتكم حالهم ﴿متبر[٢] ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون﴾ أي إنهم وما هم عليه من حال في هلاك وخسار، ثم قال لهم منكراً متعجباً ﴿أغير الله أبغيكم إلهاً﴾ أي غير ربي عز وجل أطلب لكم إلهاً تعبدونه دون الله ما لكم أين يذهب بعقولكم، وهو سبحانه وتعالى فضلكم على العالمين وشرفكم على سائر سكان المعمورة[٣]

أهكذا يكون شكركم له بطلب إله غيره ، وهل هناك من يستحق العبادة غيره؟ وقوله تعالى في الآية الأخيرة (١٤١) ﴿وإذ أنجيناكم[٤] من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب﴾ أي واذكروا يا من قلتم اجعل لنا إلهاً كما للمشركين آلهة اذكروا فضل الله عليكم بإنجائه إياكم من فرعون وآله وهم الذين كانوا على منهجه في الظلم والكفر من رجال حكمه وأفراد شرطه وجيوشه ﴿يسومونكم سوء العذاب: يقتلون أبناءكم﴾ حتى لا تكثروا، ﴿ويستحيون نساءكم﴾ للامتهان والخدمة، وفي هذا التعذيب والإنجاء منه ﴿بلاء من ربكم عظيم﴾ يتطلب شكركم لا كفركم، فكيف تريدون أن تعبدوا غيره، وتشركوا به أصناماً لا تنفع ولا تضر، إن أمركم لجد مستغرب وعجب فاتقوا الله وتوبوا إليه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ طلب بني إسرائيل من موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهاً يعبدونه دال على جهل

---

(١) قرىء ﴿يعكُفون﴾ بكسر الكاف وضمها سبعيتان، والعكوف: الإقامة على الشيء وملازمته، ومنه العكوف في المساجد وهو الإقامة بها وملازمتها مدّة للعبادة.

(٢) متبّر: مهلك، والتبار: الهلاك، وكل إناء منكسر فهو متبّر.

(٣) هذا التفضيل خاص بزمانهم الذي كانوا فيه مع أنبيائهم وهم صالحون.

(٤) بعد أن أنكر عليهم طلبهم إلهاً غير الله في قوله ﴿أغير الله أبغيكم إلها﴾ ذكرهم بنعمة الله عليهم وهي: إنجاؤهم من آل فرعون فهل يليق بمن ينعم الله عليه بنعمة عظيمة أن ينساه ويطلب إلها غيره يعبده بدله أو معه؟

تام في بني إسرائيل ولذا قال لهم موسى ﴿إنكم قوم تجهلون﴾ فالعلة في هذا الطلب العجيب هي الجهل بالله تعالى وأسمائه وصفاته، يشهد لهذا أن مسلمة الفتح لما خرج بهم رسول الله ﷺ إلى حنين مروا بسدرة قالوا للنبي ﷺ أجعلها لنا ذات أنواط ننيط بها أسلحتنا، كما للمشركين نظيرها ينيطون بها أسلحتهم لينتصروا في القتال على أعدائهم فعجب الرسول من قولهم وقال «سبحان الله ما زدتم أن قلتم كما قال بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة» فجهل القائلين هو الذي سهل عليهم أن يقولوا مثل هذا القول، ويشهد لذلك أن آلاف الأشجار والمزارات في بلاد المسلمين تزار ويتبرك بها وتقدم لها القرابين ولا علة لذلك سوى جهل المسلمين بربهم عز وجل.

٢ـ إنكار المنكر عند وجوده والعثور عليه بالأسلوب الذي يغيره.

٣ـ استحباب التذكير بأيام الله خيرها وشرها لاستجلاب الموعظة للناس لعلهم يتوبون.

٤ـ الرب تعالى يبتلي بالخير والغير، وفي كل ذلك خير لمن صبر وشكر.

۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا

لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾

شرح الكلمات :

ميقـات : الميقات : الوقت المعين .

أخلفني في قومي : أي كن خليفتي فيهم .

المفسـدين : الذين يعملون بالمعاصي .

استقر مكانه : ثبت ولم يتحول .

خـرّ : سقط على الأرض .

أفـاق : ذهب عنه الإغماء وعاد إليه وعيه[1] .

اصطفيتك : أخترتك

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر أحداث موسى مع بني إسرائيل انه لما نجى الله تعالى بني إسرائيل من فرعون وملئه ، وحدثت حادثة طلب بني إسرائيل من موسى أن يجعل لهم إلهاً كما للمشركين إلهاً وقد أنبأهم موسى وأدبهم عن قولهم الباطل واعد الله تعالى موسى أن يناجيه بجبل الطور وجعل له الموعد الذي يلقاه فيه شهراً ثلاثين يوماً وكانت شهر القعدة وزادها عشراً من أول الحجة فتم الميقات أربعين[2] ليلة . وعند خروجه عليه السلام استخلف في بني اسرائيل أخاه هارون[3] وأوصاه بالإصلاح ، ونهاه عن اتباع آراء المفسدين هذا معنى قوله تعالى ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾ وكان

---

(١) في الحديث الصحيح أنّ النبي ﷺ قال: ﴿لاتخيروا بين الأنبياء فإنّ الناس يصعقون يوم القيامة فارفع رأسي فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أصعق فيمن صعق فأفاق قبلي أو جوزي بصعقة الطور.

(٢) ذكر ابن عباس ومجاهد ومسروق في سبب زيادة العشرة أيام : أنّ موسى لمّا أكمل صيام الثلاثين يوماً أنكر خلوف فمه فاستاك . فقالت له الملائكة : إنّا كنا نستنشق من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك فزيد فيه عشر ليال فتم له بذلك أربعون يوماً . في الحديث الصحيح خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك) .

(٣) في الآية دليل على استخلاف المرء أخاه لينوب عنه في حفظ ورعاية ما كلّفه به ، ومن العجب أن الروافض استدلوا بقول=

ذلك من أجل أن يأتي بني إسرائيل بكتاب من ربهم يتضمن شريعة كاملة يساسون بها وتحكمهم ليكملوا ويسعدوا عليها.

وقوله تعالى ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا[1]﴾ أي في الموعد الذي واعدنا والوقت الذي حددنا وكلمه ربه بلا واسطة بينهما بل كان يسمع كلامه ولا يرى ذاته، تاقت نفس موسى لرؤية ربه تعالى، فطلب ذلك فقال ﴿ربّ أرني أنظر اليك﴾ فأجابه ربه تعالى بقوله إنك لن تراني أي رؤيتك لي غير ممكنة لك، ولكن إذا أردت أن تتأكد من أن رؤيتك لي في هذه الحياة غير ممكنة فانظر إلى الجبل «جبل الطور» فإن استقر مكانه بعد أن أتجلى له، فسوف تراني ﴿فلما تجلى[2] للجبل جعله دكاً وخر موسى﴾ عند رؤية الجبل ﴿صَعِقا﴾ أي مغشياً عليه ﴿فلما أفاق﴾ مما اعتراه من الصعق ﴿قال سبحانك﴾ أي تنزيهاً لك وتقديساً ﴿تبت إليك[3]﴾ فلم أسألك بعد مثل هذا السؤال ﴿وأنا أول المؤمنين﴾ بك وبجلالك وعظيم سلطانك وأنا عبدك عاجز عن رؤيتك في هذه الدار دار التكليف والعمل.

وهنا أجابه ربه تعالى قائلا ﴿يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك﴾ من هذا الكمال[4] والخير العظيم ﴿وكن من الشاكرين﴾ لي على إنعامي لأزيدك وذلك بطاعتي والتقرب إلى بفعل محابي وترك مكارهي. وقوله تعالى ﴿وكتبنا له في الألواح[5] من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء﴾ أي كتبنا له في ألواحه من كل شيء

= الرسول ﷺ لعلي وقد استخلفه في إحدى غزواته: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلةهارون من موسى إلاّ أنّه لا نبي بعدي) أنّ الأصحاب كفروا لتركهم النّص في خلافة علي واجتهدوا واستخلفوا أبابكر، ومنهم من كفّر عليا لأنه لم يطالب بالخلافة وما دروا أنّ الرسول استخلف غير واحد ومنهم ابن أمّ مكتوم فهل دلّ ذلك على استخلافه على أمته بعد موته؟ فما أضلّ القوم وأعظم جهلهم!

(١) في الآية دليل على مشروعية الموادعة والتوقيت وأن التاريخ يكون باللّيالي لا بالأيام، قال ابن العربي: حساب الشمس للمنافع وحساب القمر للمناسك.

(٢) تجلّى معناهظهر، واندكاك الجبل على قوة بنيته وعظيم جسمه كان لعجزه عن رؤية الربّ تبارك وتعالى وهذا كقوله تعالى: ﴿ولو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعاً من خشية الله﴾.

(٣) الإجماع على أنّ توبة موسى هذه لم تكن من ذنب وإنما هي بمعنى الإنابة إلى الله تعالى وعدم طلب مثل هذا الذي طلب.

(٤) فيه الدعوة إلى القناعة وهي خير ما يؤتى المرء في الحياة.

(٥) اختلف في أيهما كان أوّلاً الألواح أو التوراة، والظاهر أنّ الألواح كانت أوّلا ثم أوحيت التوراة عليها فصارت كتابا واحداً هو التوراة.

من أمور الدين والدنيا موعظة لقومه من أمر ونهي وترغيب وترهيب، وتفصيلا لكل شيء يحتاجون إلى بيانه وتفصيله. وقوله ﴿فخذها بقوة﴾ أي وقلنا له خذها بقوة أي بعزم وجد وذلك بالعمل بحلالها وحرامها فعلاً وتركاً، ﴿وأمر قومك﴾ أيضاً ﴿يأخذوا بأحسنها﴾ أي بما هو عزائم فيها وليس برخص تربية لهم وتعويداً لهم على تحمل العظائم لما لازمهم من الضعف والخور دهراً طويلاً. وقوله تعالى ﴿سأريكم دار الفاسقين[1]﴾ يتضمن النهي لبني إسرائيل عن ترك ما جاء في الألواح من الشرائع والأحكام فإنهم متى تركوا ذلك أو شيئاً منه يعتبرون فاسقين، وللفاسقين نار جهنم هي جزاؤهم يوم يلقون ربهم، وسيريهم إياها، فهذه الجملة تحمل غاية الوعيد والتهديد للذين يفسقون عن شرائع الله تعالى بإهمالها وعدم العمل بها، فليحذر المؤمنون هذا فإنه أمر عظيم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ المحافظة على المواعيد أمر محبوب للشارع مرغب فيه وهو من سمات الصادقين.

٢ـ جواز الاستخلاف في الأرض في مهام الأمور فضلاً عما هو دون ذلك.

٣ـ مشروعية الوصية للخلفاء بما هو خير.

٤ـ امكان رؤية الله تعالى وهي ثابتة في الآخرة لأهل الجنة.

٥ـ استحالة رؤية الله تعالى في الدنيا لضعف الإنسان على ذلك.

٦ـ وجود الامة القابلة لأحكام الله قبل وجود الشرع الذي يحكمها.

سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا

---

(١) وجائز أن يُراد بدار الفاسقين: بلاد القدس والشام إذ سكانها كانوا فاسقين فواعد الله بني اسرائيل بدخول تلك البلاد والانتصار على أهلها الفاسقين.

وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾

شرح الكلمات :

سأصرف : سأبعد.

يتكبرون : يعلون ويترفعون فيمنعون الحقوق ويحتقرون الناس.

سبيل الرشد : طريق الحق القائم على الإيمان والتقوى.

سبيل الغي : طريق الضلال القائم على الشرك والمعاصي.

وكانوا عنها غافلين : لا يلتفتون إليها ولا ينظرون فيها ولا يتفكرون فيما تدل عليه وتهدي إليه.

حبطت أعمالهم : فسدت فلا ينتفعون بها لأنها أعمال مشرك والشرك محبط للعمل.

معنى الآيتين الكريمتين :

هاتان الآيتان تحملان تعليلاً صحيحاً صائباً لكل انحراف وفساد وظلم وشر وقع في الأرض ويقع إلى نهاية هذه الحياة وهذا التعليل الصحيح هو التكذيب بآيات الله والغفلة عنها، وسواء كان الحامل على التكذيب الكبر أو الظلم، أو التقليد أو العناد، إلا أن الكبر أقوى عوامل الصرف عن آيات الله تعالى لقوله عز وجل في مطلع الآية الأولى (١٤٦) ﴿سأصرف[1] عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق﴾ ومن صرفه الله حسب سنته في صرف العباد لا يقبل ولا يرجع أبداً، وقوله ﴿وإن يروا سبيل الرشد[2] لا يتخذوه سبيلاً، وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً﴾ هذا بيان لعامل من عوامل الصرف عن آيات الله. وهو أن يعرض على العبد سبيل الرشد فيرفضه، ويرى سبيل الغي فيتبعه ويتخذه سبيلاً،

---

(١) قال قتادة: سأمنعهم فهم كتابي وقال سفيان: سأصرفهم عن الإيمان بها وذلك مجازاة لهم على تكبُّرهم، وما ذكرناه في التفسير لايتنافى مع هذا.

(٢) الرشد: ضد السفه والخيبة وقرىء بالضم وقرىء بفتح الراء والشين الرَّشد، وقرىء يُروا بضم الياء.

وقوله تعالى ﴿ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا﴾ التي جاءت بها رسلنا ﴿وكانوا عنها غافلين﴾ غير مبالين بها ولا ملتفتين[1] اليها هذا هو التعليل الصحيح الذي نبهنا إليه فليتأمل، وقوله تعالى في الآية الثانية (١٤٧) ﴿والذين كذبوا بآياتنا[2] ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم﴾ تقرير المراد به تأكيد خسران أولئك المصروفين عن آيات الله تعالى، إذ أعمالهم لم تقم على أساس العدل والحق بل قامت على أساس الظلم والباطل فلذا هي باطلة من جهة فلا تكسبهم خيراً، ومن جهة أخرى فهي أعمال سوء سوف يجزون بها سوءاً في دار الجزاء وهو عذاب الجحيم، ولذا قال تعالى ﴿هل يجزون الا ما كانوا يعملون﴾ أي ما يجزون إلا ما كانوا يعملون من السوء، وعدالة الله تعالى أن من جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ بيان سنة الله تعالى في صرف العباد عن آيات الله حتى يهلكوا كما هلك فرعون وآله.

٢ـ من أقوى عوامل الصرف عن آيات الله الكبر.

٣ـ التكذيب بآيات الله والغفلة عنها هما سبب كل ضلال وشر وظلم وفساد.

٤ـ بطلان كل عمل لم يسلك فيه صاحبه سبيل الرشد التي هي سبيل الله التي تحدد الآيات القرآنية وتبين معالمها، وترفع أعلامها.

وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا

---

(٣) مع ما تحمله من الوعد والوعيد، وبيان الهدى والضلال، والخير والشر والحق والباطل فغفلتهم الناشئة عن مرض قلوبهم بسبب الكبر والتكذيب هي التي حالت دون تذكرهم وتدبّرهم.

(٤) الآيات في الآية السابقة عامة في المعجزات الكونية في الأنفس والآفاق، والتنزيلة القرآنية، وفي هذه الآية المراد بها: القرآنية بقرينة التكذيب بها وبيوم القيامة.

رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

شرح الكلمات :

من حليهم : جمع حليّ[1] وهو ما تتحلى به المرأة لزوجها من أساور ونحوها من ذهب.

عجلاً جسداً : العجل ولد البقرة والجسد أي ذاتا لا مجرد صورة على ورق أو جدار.

له خوار : الخوار صوت البقر كالرغاء[2] صوت الابل.

ولما سقط في أيديهم : أي ندموا على عبادته لأنها عبادة باطلة.

معنى الآيات :

هذا عود إلى قصص موسى عليه السلام مع قومه من بني إسرائيل، فقد كان السياق مع موسى في جبل الطور وطلبه الرؤية وتوبته من ذلك ثم اعترض السياق ببيان القاعدة العظيمة في تعليل هلاك العباد وبيان سببه وهو التكذيب بآيات الله المنزلة والغفلة عنها، ثم عاد السياق لقصص موسى مع بني إسرائيل فقال تعالى ﴿واتخذ قوم موسى من بعده﴾ أي من بعد غيبته في جبل الطور لمناجاة ربه وليأتي بالكتاب الحاوي للشريعة التي سيسوسهم بها موسى ويحكمهم بموجبها ومقتضى قوانينها اتخذوا ﴿من حليهم﴾ أي حلي نسائهم ﴿عجلاً جسداً له خوار[3]﴾ وذلك أن السامري[4] طلب من نسائهم حليهم بحجة واهية: أن هذا الحلي مستعار من نساء الأقباط ولا يحل تملكه فاحتال عليهم وكان صائغاً فصهره وأخرج لهم منه ﴿عجلاً[5] جسداً﴾ أي ذاتاً ﴿له خوار﴾ أي صوت كصوت البقر، وقال لهم هذا إلهكم وإله موسى فاعبدوه ولم يقل وإله هارون لأن هارون كان معهم خليفة

---

(١) الحلي: يجمع على حُليّ وَحِلي كثدي يجمع على ثُدي بضم الثاء وثِدي بكسرها.

(٢) والثغاء: صوت الشاة، والمواء: صوت القط، والعواء: صوت الذئب، واليعار: صوت المعز.

(٣) الخوار: صوت العجل، والجؤار: مثله، وفعل الخوار خار يخور خواراً، وفعل الجؤار جأر يجأر جؤراً، وأما خور يخور خوراً فمعناه: جبن وضعف.

(٤) نسبة إلى قرية تسمى: سامرة، واسمه: موسى بن ظفر، ولد عام قتل الأبناء كموسى عليه السلام.

(٥) العجل ولد البقرة كالحوار: ولدُ الناقة والمهر: ولدُ الفرس، والجحش: ولدُ الأتان والحمل: ولدُ الشاة، والجسد: الجثة.

فخاف أن يكذبه هارون فلم ينسبه إليه، وقوله تعالى ﴿ألم يروا أنه لا يكلمهم[1] ولا يهديهم سبيلاً﴾ توبيخ لهم وتقريع على غباوتهم وجهلهم، وإلا كيف يعتقدون إلهاً وهو لا يتكلم فيكلمهم ولا يعقل فيهديهم سبيل الرشد إن ضلوا وقد ضلوا بالفعل ثم قال تعالى ﴿اتخذوه﴾ أي إلهاً ﴿وكانوا ظالمين﴾ في ذلك، لأن الله رب موسى وهارون والعالمين لم يكن عجلاً ولا مخلوقاً كائناً من كان فما أجهل القوم وما أسوأ فهمهم وحالهم. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٤٨) وأما الآية الثانية (١٤٩) فقد أخبر تعالى عن حالهم بعد انكشاف الامر لهم، وبيان خطئهم فقال تعالى ﴿ولما سقط[2] في أيديهم﴾ أي ندموا ندماً شديداً ورأوا أنهم بشركهم هذا قد ضلوا الطريق الحق والرشد، صاحوا معلنين توبتهم ﴿لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر[3] لنا﴾ أي هذا الذنب العظيم ﴿لنكونن من الخاسرين﴾ في الدار الآخرة فنكون من أصحاب الجحيم.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١ـ بيان سنة من سنن الكون وهي أن المرء يتأثر بما يرى ويسمع، والرؤية أكثر تأثيراً في النفس من السماع فإن بني إسرائيل رؤيتهم للأبقار الآلهة التي مروا بأهل قرية يعكفون عليها وطلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهاً مثلها هو الذي جعلهم يقبلون عجل السامري الذي صنعه لهم، ومن هنا كان منظر الأشياء في التلفاز وشاشات الفيديو مؤثراً جداً وكم أفسد من عقول ولوث من نفوس، وأفسد من أخلاق.

٢ـ تقبيح الغباء والجمود في الفكر، وذلك لقول الله تعالى ﴿ألم يروا أنه لا يكلمهم﴾.

٣ـ إذا أراد الله بعبده خيراً ألهمه التوبة بعد المعصية فندم واستغفر.

---

(١) إذ الربّ وهو المربي والمصلح والمعبود المشرّع للعبادت يجب أن يكون متكلّما يهديهم سبل كمالهم وسعادتهم.

(٢) سُقط بضم السين، وأسقط بضم الهمزة بالبناء للمفعول، يقال للنادم المتحيّر: سقط في يده وأسقط في يده، وقرىء: سقط بالبناء للفاعل، أي: سقط الندم في يده، والندم يكون في القلب، وإنما ذكروا اليد هنا تشبيها بمن سقط شيء في يده وهو مثل: عض يده من الندم.

(٣) أي: عادوا إلى الحق فتضرعوا إلى الله تعالى ودعوه معترفين بخطئهم مستغفرين ربّهم رجاء أن ينجيهم من الخسران.

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى
مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ
أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟
يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ
ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى
رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟
ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ
وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ
تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى
نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾

شرح الكلمات :

ولما رجع موسى : أي من جبل الطور بعد مرور أكثر من أربعين يوما.

أســـفاً : أي حزيناً شديد الحزن والغضب.

أعجلتم أمر ربكم : أي استعجلتم.

برأس أخيه : أي هارون شقيقه.

قال ابن أم : أصلها يا ابن أمي فقلبت الياء ألفاً نحو يا غلاماً، ثم حذفت وهارون شقيق موسى وإنما ناداه بأمه لأنه أكثر عطفاً وحناناً.

فلا تشمت بي الأعداء : أي لا تجعل الأعداء يفرحون بإهانتك أو ضربك لي .

اتخذوا العجل : أي إلهاً عبدوه .

المفترين : الكاذبين على الله تعالى بالشرك به أي بجعل شريك له .

ولما سكت عن موسى الغضب : زال غضبه وسكنت نفسه من القلق والاضطراب .

أخذ الألواح : أي من الأرض بعد أن طرحها فتكسرت .

وفي نسختها : أي وفي ما نسخه منها بعد تكسرها نسخة فيها هدى ورحمة .

يرهبون : يخافون ربهم ويخشون عقابه فلا يعصونه .

معنى الآيات :

مازال السياق في أحداث قصص موسى مع بني إسرائيل ففي هذا السياق الكريم يخبر تعالى أن موسى عليه السلام لما رجع إلى قومه من مناجاته وقد أخبره ربه تعالى أنه قد فتن قومه من بعده وأن السامري قد أضلهم فلذا رجع ﴿غضبان أسفاً[1]﴾ أي شديد الغضب[2] والحزن، وما إن واجههم حتى قال ﴿بئسما خلفتموني من بعدي، أعجلتم أمر ربكم؟﴾ أي استعجلتم فلم تتموا ميعاد ربكم أربعين يوماً فقلتم مات موسى وبدلتم دينه فعبدتم العجل ﴿والقى الألواح﴾ أي طرحها فتكسرت ﴿وأخذ بلحية﴾ هارون ورأسه يؤنبه على تفريطه في مهام الخلافة فاعتذر هارون فقال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي، إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي هذا وارد في سورة طه وأما السياق هنا فقد قال ﴿يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني[3] فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين﴾ وهم الذين ظلموا بعبادة العجل، ومعنى ﴿لا تشمت بي

---

(١) غضبان شديد الغضب ومؤنثه غضبى غير مصروف لزيادة الألف والنون، وأسفاً: معناه شديد الغضب قال أبو الدرداء، الأسف منزلة وراء الغضب أشدّ منه والأسيف: الحزين.

(٢) الغضب من طباع البشر وقد أرشد الرسول ﷺ من غضب وهو قائم أن يجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلّا اضطجع فقد روى أبو داود أنه ﷺ قال: (إن الغضب من الشيطان، وإنّ الشيطان خلق من نار وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ).

(٣) في الآية دليل على أن من خاف على نفسه القتل أن يسكت عن المنكر ولا يغيره بيده ولا بلسانه ولكن بقلبه.

الأعداء﴾ لا تؤذني بضرب ولا بغيره إذ ذاك يفرح أعداءنا من هؤلاء الجهلة الظالمين، وهنا رق له موسى وعطف عليه فقال ﴿رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين﴾ توسل إلى الله تعالى في قبول دعائه بقوله ﴿وأنت أرحم الراحمين﴾ هذا ما تضمنته الآيتان الأولى (١٥٠) والثانية (١٥١) أما الآية الثالثة فقد أخبر تعالى بأن الذين اتخذوا العجل أي إلهاً ﴿سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا﴾ وكما جزاهم بالغضب المستوجب للعذاب والذلة المستلزمة للإهانة يجزي تعالى المفترين عليه الكاذبين باتخاذ الشريك له وهو بريء من الشركاء والمشركين، هذا ما دلت عليه الآية الثالثة (١٥١) أما الآية الرابعة فقد تضمنت فتح باب الله تعالى لمن أراد أن يتوب إليه إذ قال تعالى ﴿والذين عملوا السيئات﴾ جمع سيئة وهي هنا سيئة الشرك ﴿ثم تابوا من بعدها﴾ أي تركوا عبادة غير الله تعالى وآمنوا ايماناً صادقاً فإن الله تعالى يقبل توبتهم ويغفر لهم ذنوبهم ويرحمهم فيدخلهم جنته مع الصالحين من عباده، هذا ما دلت عليه الآية الرابعة (١٥٣) أما الآية الخامسة (١٥٤) فقد تضمنت الإخبار عن موسى عليه السلام وانه لما سكت عنه الغضب أي ذهب أخذ الألواح التي ألقاها من شدة الغضب وأخبر تعالى أن في نسخة[١] تلك الألواح ﴿هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون﴾ وهم المؤمنون المتقون وخصوا بالذكر لأنهم الذين يجدون الهدى والرحمة في نسخة الألواح، لأنهم يقرأون ويفهمون ويعلمون وذلك لإيمانهم وتقواهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ الغضب من طباع البشر فلا يلام عليه المرء ومهما بلغ من الكمال كالأنبياء، ولكن أهل الكمال لا يخرج بهم الغضب إلى حد أن يقولوا أو يعملوا ما ليس بخير وصلاح.

٢ـ مشروعية الاعتذار وقبول العذر من أهل المروءات.

٣ـ مشروعية التوسل بأسماء الله وصفاته.

---

(١) النسخة : بمعنى المنوسخ، والنسخ : النقل للمكتوب في لوح أو غيره، ويسمى المنوسخ نسخة.

٤ـ كل وعيد لله تعالى توعد به عبداً من عباده مقيد بعدم توبة المتوعد.

٥ـ كل رحمة وهدى ونور في كتاب الله لا ينتفع به إلا أهل الإيمان والتقوى.

وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾

شرح الكلمات:

واختار موسى قومه سبعين رجلاً : أي أخذ خيار قومه وهم سبعون رجلاً.

لميقاتنا	: أي للوقت الذي حددناه له ليأتينا مع سبعين رجلاً .
أخذتهم الرجفة	: الصاعقة التي رجفت لها القلوب .
السفهاء	: جمع سفيه: وهو الذي لا رشد له في سائر تصرفاته .
إن هي إلا فتنتك	: أي ما هي إلا فتنتك أي اختبارك لأهل الطاعة من عبادك .
أنت ولينا	: أي المتولي أمرنا وليس لنا من ولي سواك .
هدنا إليك	: أي رجعنا إليك وتبنا .
الأمي	: الذي لا يقرأ ولا يكتب .
المعروف، والمنكر	: ما عرفه الشرع والمنكر: ما أنكره الشرع .
ويحرم عليهم الخبائث	: أي بإذن الله والخبائث جمع خبيثة : كالميتة مثلاً .
ويضع عنهم إصرهم والأغلال	: الإصر: العهد والأغلال: الشدائد في الدين .
عزروه	: أي وقروه وعظموه
واتبعوا النور الذي أنزل معه	: القرآن الكريم .
هم المفلحون	: الفائزون أي الناجون من النار الداخلون الجنة .

معنى الآيات :

ما زال السياق في أحداث موسى مع بني إسرائيل فإنه بعد الحدث الجلل الذي حصل في غيبة موسى وذلك هو عبادة جل بني إسرائيل العجل واتخاذهم له إلهاً فإن الله تعالى وقت لموسى وقتاً يأتيه فيه مع خيار بني إسرائيل يطلب لهم التوبة من الله سبحانه وتعالى . قال تعالى ﴿واختار[1] موسى قومه سبعين رجلاً﴾ ولما انتهى بهم إلى جبل الطور وغشيت الجبل غمامة وأخذ موسى يناجي ربه تعالى وهم يسمعون قالوا لموسى لن نؤمن لك بأن

---

(١) اختار مزيد من خار: إذا طلب ما هو خير من غيره، وقومه منصوب على نزع الخافض إذ الأصل من قومه، ومنه قول الشاعر:

اختِرتك الناس إذ رثت خلائقهم   واختل من كان يُرجى عنده السُّولُ

السُّول بمعنى السؤل أي الطلب

الذي كان يكلمك الرب تعالى حتى نرى الله جهرة أي عياناً وهنا غضب الله تعالى عليهم فأخـذتهم صيحة رجفت لها قلوبهم والأرض من تحتهم فماتوا كلهم، وهو معنى قوله تعـالى ﴿فـأخـذتهم الرجفة﴾ وهنا أسف موسى عليه السلام لموت السبعين رجلاً وقد اختـارهم الخير فالخير فإذا بهم يمـوتـون أجمعـون فخاطب ربه قائلا ﴿رب لو شئت أهلكتهم من قبل﴾ أي من قبل مجيئنا إليك ﴿وإياي﴾ وذلك في منزل بني إسرائيل حيث عبدوا العجل ﴿أتهلكنا بما فعل السفهاء منا[1]﴾ أي بسبب فعل السفهاء الذين لا رشد لهم، وهم من عبدوا العجل كمن سألوا رؤية الله تعالى، وقوله عليه السلام ﴿إن هي إلا فتنتك﴾ أي إلا اختبارك وبليتك ﴿تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء، أنت ولينا﴾ فليس لنا سواك ﴿فاغفرلنا﴾ أي ذنوبنا ﴿وارحمنا﴾ برفع العذاب عنا ﴿وأنت خير الغافرين﴾ ﴿واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة﴾ بأن توفقنا لعمل الصالحات وتتقبلها منا، ﴿وفي الآخرة﴾ تغفر ذنوبنا وتدخلنا جنتك مع سائر عبادك الصالحين، وقوله ﴿إنا هدنا إليك﴾ أي إنا قد تبنا إليك فأجابه الرب تعالى بقوله ﴿عذابي أصيب به من أشاء﴾ أي من عبادي وهم الذين يفسقون عن أمري ويخرجون عن طاعتي ﴿ورحمتي وسعت[2] كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾ وبهذا القيد الوصفي، وبما بعده خرج إبليس واليهود وسائر أهل الملل ودخلت أمة الإسلام وحدها إلا من آمن من أهل الكتاب واستقـام على دين الله وهـو الإسلام. وقوله ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي﴾ هو محمد ﷺ ﴿الذي يجدونه مكتوباً[3] عندهم في التوراة والإنجيل﴾ وذلك بذكر صفاته والثناء عليه وعلى أمته، وقوله ﴿يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات﴾ أي التي كانت قد حرمت عليهم بظلمهم ﴿ويحرم عليهم الخبائث﴾ الخمر ولحم الخنزير والربا وسائر المحرمات في الإسلام، وقوله ﴿ويضع عنهم إصرهم﴾ أي ويحط عنهم تبعة العهـد الذي أخذ عليهم بالعمل فيما في التوراة والإنجيل بأن يعملوا بكل ما جاء في

---

(١) الاستفهام هناللتحجج والجحد أي إنك لا تفعل ذلك، وهو كما قال الشعر:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

(٢) أي لم تضق عن مخلوق من المخلوقات التيّ أراد الله رحمتها. يحكى أنّ ابليس عليه لعائن الله لما سمع هذه الآية قال: أنا شيء فقال الله تعالى: سأكتبها للذين يتقون فقالت اليهود والنصارى نحن: متقون فقال تعالى: الذين يتّبعون الرسول النبي الأمي فخرجوا وبقيت لهذه الأمّة وحدها.

(٣) قال كعب في ذكر صفاته ﷺ في التوراة: مولده مكة وهجرته بطابة وملكه بالشام، وأمته الحمّادون يحمدون الله على كل حال.. إلى أن قال: يصلّون حيثما أدركتهم الصلاة، صفهم في الصلاة كصفهم في القتال.

التوراة والإنجيل، وقوله ﴿والأغلال[1] التي كانت عليهم﴾ أي الشدائد المفروض عليهم القيام بها وذلك كقتل النفس بالنفس إذ لا عفو ولا دية وكقطع الثوب للنجاسة تصيبه وغير ذلك من التكاليف الشاقة كل هذا يوضع عليهم إذا أسلموا بدخولهم في الإسلام وقوله تعالى ﴿فالذين آمنوا به﴾ أي بمحمد ﷺ ﴿وعزروه[2]﴾ أي وقروه وعظموه ﴿ونصروه﴾ على أعدائه من المشركين والكافرين والمنافقين ﴿واتبعوا النور الذي أنزل معه﴾ وهو القرآن الكريم ﴿أولئك هم المفلحون﴾ أي وحدهم دون سواهم الفائزون بالنجاة من النار ودخول الجنة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- وجوب التوبة من كل ذنب، ومشروعية صلاة ركعتين وسؤال الله تعالى عقبها أن يقبل توبة التائب ويغفر ذنبه.

٢- كل سلوك ينافي الشرع فهو من السفه المذموم، وصاحبه قد يوصف بأنه سفيه.

٣- الهداية والإضلال كلاهما بيد الله تعالى فعلى العبد أن يطلب الهداية من الله تعالى ويسأله أن لا يضله.

٤- رحمة الله تعالى بأمة محمد ﷺ فلا تنال اليهود ولا النصارى ولا غيرهم.

٥- بيان شرف النبي محمد ﷺ وأمته.

٦- بيان فضل تزكية النفس بعمل الصالحات وإبعادها عن المدسيات من الذنوب.

٧- بيان فضل التقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٨- وجوب توقير النبي ﷺ وتعظيمه ونصرته واتباع الكتاب الذي جاء به والسنن التي سنها لأمته.

---

(١) تقدّم لفظ الإصر وهو دال على جمع لأنّه مصدر يقع على الواحد والجمع ولذا عطف عليه الأغلال، وجمع الإصر: آصار، ومعناه الثقل الذي يصعب معه التحرّك والأغلال جمع غلّ، وهو إطار من حديد يجعل في عنق الأسير، والمراد من الآصار والأغلال التكاليف الشرعية الشاقة التي اشتملت عليها التوراة منها: ترك العمل يوم السبت قيل: ومن أشدّها عدم مشروعية التوبة من الذنوب، وعدم استتابة المجرم.

(٢) عزّروه: أيّدوه مع توقيره وتعظيمه.

قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَـٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَـٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾

شـرح الكلمـات :

لا إله إلا هو	: أي لا معبود بحق إلا الله .
النبي الأمـي	: المنبىء عن الله والمنبأ من قبل الله تعالى ، والأمي الذي لم يقرأ ولم يكتب. نسبة إلى الأم كأنه ما زال لم يفارق أمه فلم يتعلم بعد .
يؤمن بالله وكلماته	: الذي يؤمن بالله ربا وإلهاً، وبكلماته التشريعية والكونية القدرية .
تهتـــدون	: ترشدون إلى طريق كمالكم وسعادتكم في الحياتين .
أمـة يهدون بالحق	: أي جماعة يهدون أنفسهم وغيرهم بالدين الحق وبه يعدلون في قضائهم وحكمهم على أنفسهم وعلى غيرهم انصافاً وعدلا لا جور ولا ظلم .
أسـباطاً	: جمع سبط : وهو بمعنى القبيلة عند العرب .
استسقاه قومه	: أي طلبوا منه الماء لعطشهم .
فانبجـست	: فانفجــرت .
المن والسلوى	: المن : حلوى كالعسل تنزل على أوراق الأشجار، والسلوى: طائر لذيذ لحمه .
اسكنوا هذه القرية	: هي حاضرة فلسطين .
وقوله «حطة»	: أي احطط عنا خطايانا بمعنى الإعلان عن توبتهم .
رجزاً من السماء	: أي عذاباً من عند الله تعالى .

معنى الآيـات :

بعد الإشادة بالنبي الأمي وبأمته ، وقصر الفلاح في الدارين على الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه قد يظن ظان أن هذا النبي شأنه شأن سائر الأنبياء قبله هو نبي قومه خاصة وما ذكر من الكمال لا يتعدى قومه فرفع هذا الوهم بهذه الآية (١٥٨) حيث أمر الله تعالى رسوله أن يعلن عن عموم رسالته بما لا مجال للشك فيه فقال

﴿قـل يا أيهـا النـاس إني رسـول الله إليكم جميعـاً﴾ وقوله ﴿الذي له ملك السموات والأرض﴾ وصف لله تعالى وقوله ﴿لا إله إلا هو﴾ تقرير لألوهية الله تعالى بعد ذكر قدرته وسلطانه وملكه وتدبيره لذا وجب أن لا يكون معبود إلا هو وهو كذلك إذ كل معبود غيره هو معبود عن جهل وعناد وظلم . وقوله ﴿فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي﴾ أمر الإله الحق إلى النـاس كافة بالإيمان به تعالى رباً وإلهاً، وبرسوله النبي الأمي نبياً ورسولاً ، وقوله ﴿الذي يؤمن بالله وكلماته﴾ صفة للنبي الأمي إذ من صفات النبي الأمي محمد ﷺ أنه يؤمن بالله حق الإيمـان وأوفاه ويؤمن بكلماته أي بكلمات الرب التشريعية[1] وهي آيات القرآن الكريم ، والكونية التي يُكوِّن الله بها ما شاء من الأكوان إذ بها يقول للشيء كن فيكون كما قال لعيسى بتلك الكلمة كن فكان عيسى عليه السلام وقوله ﴿واتبعوه لعلكم تهتـدون﴾هـذا أمـر الله إلى الناس كافة بعد الأمر بالإيمان به وبرسوله النبي الأمي أمر باتباع نبيه محمد ﷺ رجاء هداية من[2] يتبعه فيما جاء به فيهتدي إلى سبيل الفوز في الدارين هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٥٨) أما الآية الثانية (١٥٩) فقد تضمنت الإخبار الإلهي بأن قوم موسى وإن ضلوا أو أجرموا وفسقوا ليس معنى ذلك أنه لم يكن فيهم أو بينهم من هم على هدى الله فهذه الآية كانت كالاحتراس من مثل هذا الفهم، إذ أخبر تعالى أن ﴿من قوم موسى أمة﴾ أي جماعة تكثر أو تقل ﴿يهدون بالحق[3]﴾ أي يعملون بالحق في عقـائـدهم وعبـاداتهم ويدعون إلى ذلك وبالحق يعدلون فيما بينهم وبين غيرهم فهم يعيشون على الإنصاف والعدل، ولم يذكر تعالى أين هم ولا متى كانوا هم؟ فلا يبحث ذلك ، إذ لا فائدة فيه ، ثم عاد السياق إلى قوم موسى يذكر احداثهم للعظة والاعتبار وتقرير الحق في توحيد الله تعالى وإثبات نبوة رسوله وتقرير عقيدة البعث والجزاء أو اليوم الآخر. فقال تعالى في الآية الثالثة (١٦٠) ﴿وقطعناهم[4]﴾ أي بني إسرائيل ﴿اثنتى عشرة أسباطاً

---

(١) وبكلماته التنزيلية كالتوراة والانجيل والزبور.

(٢) هذا الرجاء بالنسبة إلى المأمورين بالاتباع لا إلى الله تعالى ، لأنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير.

(٣) يهدون إلى الله تعالى عباده بواسطة ما شرع لهم وهداهم به من الوحي الذي أنزل على رسله وأنزل به كتبه .

(٤) التقطيع : الشدة في القطع والمراد به التقسيم إلى اثنتى عشرة فرقة كل فرقة بمنزلة القبيلة العربية حيث تنتسب إلى أبيها الأعلى أي الأوّل.

أمماً﴾[1] أصل السبط ابن البنت وأريد به هنا أولاد كل سبط من أولاد يعقوب عليه السلام. فالأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب كل قبيلة تنتسب إلى أبيها الأول، وأتت لفظ اثنتي عشرة لأن معنى الأسباط الفرق والفرقة مؤنثة، وقوله: ﴿وأوحينا إلى موسى إذا استسقاه قومه﴾ أعلمناه بطريق الوحي وهو الإعلام الخفي السريع، ومعنى ﴿استسقاه﴾ طلبوا منه السقيا لأنهم عطشوا لقلة الماء في صحراء سينا. ﴿أن اضرب بعصاك الحجر﴾ هذا الموحى به، فضرب ﴿فانبجست﴾[2] أي انفجرت ﴿منه اثنتا عشرة عيناً﴾ ليشرب كل سبط من عينه الخاصة حتى لا يقع اصطدام أو تدافع فينجم عنه الأذى وقوله تعالى ﴿قد علم كل أناس مشربهم﴾ يريد عرف كل جماعة ماءهم الخاص بهم وقوله تعالى ﴿وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى﴾ هذا ذكر لإنعامه تعالى على بني إسرائيل وهم في معية موسى وهارون في حادثة التيه، حيث أرسل تعالى الغمام وهو سحاب ابيض بارد يظلهم من الشمس حتى لا تلفحهم، وأنزل عليهم المن[3] وهي حلوى كالعسل سقط ليلاً كالطل على الأشجار، وسخر لهم طائراً لذيذ اللحم يقال له السلوى وهو طائر السماني المعروف وقلنا لهم ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ وقوله تعالى ﴿وما ظلمونا﴾ بتمردهم على أنبيائهم وعدم طاعتهم[4] لربهم حتى نزل بهم ما نزل من البلاء، ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾[5]. هذا ما دلت عليه الآية الثانية أما الآية الثالثة (١٦١) فقد تضمنت حادثة بعد أحداث التيه في صحراء سيناء وذلك أن يوشع بن نون بعد أن تولى قيادة بني إسرائيل بعد وفاة موسى وهارون وانقضاء مدة التيه وكانت أربعين سنة غزا يوشع ببني إسرائيل العمالقة في أرض القدس وفتح الله تعالى عليه فقال لبني إسرائيل ادخلوا باب المدينة ساجدين أي منحنين خضوعاً لله وشكراً على نعمة الفتح بعد النصر والنجاة من

---

(١) ﴿أمما﴾ بدل من ﴿أسباطاً﴾ وفائدته: الإخبار بأنهم باركهم الله تعالى فأصبح أهل كل سبط أمة كاملة والسبط أصله شجر يقال له السبط تعلفه الإبل.

(٢) أصل الفعل بجس يقال: بجسته أي: شققته فانبجس مطاوع بجس الشيء إذا شقّه.

(٣) المنّ: مادّة بيضاء تنزل من السماء كالطّل حلوة الطعم تشبه العسل، وإذ جفّت كانت الصمغ، والسلوى: طائر معروف يقال له السُّمّانى بضم السين وفتح النون على وزن حُبَارى.

(٤) وبعدم شكرهم لهذه النعم أيضاً إذا كفران النعم يسبب زوالها بعقوبة تنزل بمن لم يشكر نعم الله تعالى عليه.

(٥) أي ظلموا أنفسهم فعرضوها للبلاء، أمّا الله تعالى فمحال أن يبلغ العبد ظلمه أو ضرّه. روى مسلم عن النبي ﷺ قوله: (إنّ الله تعالى قال: يا عبادي إني حرّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرّما فلا تظالموا.. يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني).

التيه، وقوله اثناء دخولكم الباب كلمة «حطة» الدالة على توبتكم واستغفاركم ربكم لذنوبكم فإن الله تعالى يغفر لكم خطئياتكم، وسيزيد الله المحسنين منكم الإنعام والخير الكثير مع رضاه عنكم وادخالكم الجنة، هذا معنى قوله تعالى ﴿وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية﴾ أي مدينة فلسطين[1] ﴿وكلوا منها حيث شئتم﴾ لما فيها من الخيرات ﴿وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين﴾. أما الآية الرابعة (١٦٢) فهي قد تضمنت الإخبار عن الذين ظلموا من بني إسرائيل الذين أمروا بدخول القرية ودخول الباب سجداً. حيث بدلوا ﴿قولاً غير الذي قيل لهم﴾ فبدل حطة قالوا حنطة، وبدل الدخول منحنين ساجدين دخلوا يزحفون على أستاههم، فلما رأى تعالى ذلك التمرد والعصيان وعدم الشكران أنزل عليهم وباء من السماء كاد يقضي على آخرهم هذا معنى قوله تعالى ﴿فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزاً من السماء بما كانوا يظلمون﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- عموم رسالة النبي محمد ﷺ لكافة الناس عربهم وعجمهم أبيضهم وأصفرهم.[2]

٢- هداية الإنسان فرداً أو جماعة أو أمة إلى الكمال والإسعاد متوقفة على اتباع النبي محمد ﷺ.

٣- إنصاف القرآن للأمم والجماعات فقد صرح أن في بني إسرائيل أمة قائمة على الحق، وذلك بعد فساد بني إسرائيل، وقبل مبعث النبي الخاتم أما بعد البعثة المحمدية فلم يبق أحد على الحق، إلا من آمن به واتبعه لنسخ سائر الشرائع بشريعته.

٤- إذا أنعم الله على عبد أو أمة نعمة ثم لم يشكرها تسلب منه أحب أم كره وكائناً من كان.

---

(١) اسم القرية: أريحا، وكلمة فلسطين عامة في القطر كلّه.

(٢) عموم الرسالة المحمدية يستوجب القيام بها ودعوة الناس إليها، والمسلمون هم المطالبون بذلك وإلّا فهم آثمون بتفريطهم وتقصيرهم.

وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾

شرح الكلمات :

حاضرة البحر : أي على شاطئه وهي مدينة من مدن أرض القدس .

يعدون في السبت : أي يعتدون وذلك بالصيد المحرم عليهم فيه .

يوم سبتهم : أي يوم راحتهم من أعمال الدنيا وهو يوم السبت .

شرعاً : جمع شارع أي ظاهرة بارزة تغريهم بنفسها .

كذلك نبلوهم : أي نمتحنهم ونختبرهم .

بما كانوا يفسقون : أي بسبب ما أعلنوه من الفسق وهو العصيان .

معذرة الى ربكم : أي ننهاهم فإن انتهوا فذاك وإلا فنهينا يكون عذراً لنا عند ربنا .

فلما نسوا ما ذكروا به : أي أهملوه وتركوه فلم يمتثلوا ما أمروا به ولا ما نهوا عنه .

عن السوء : السوء هو كل ما يسيء إلى النفس من سائر الذنوب والآثام .

بعذاب بئيس : أي ذا بأس شديد .

فلما عتوا عما نهوا عنه : أي ترفعوا وطغوا فلم يبالوا بالنهي.
قردة خاسئين : القردة جمع قرد معروف وخاسئين ذليلين حقيرين اخساء.

معنى الآيات :

ما زال السياق في بني إسرائيل إلا أنه هنا مع رسول الله محمد ﷺ ويهود المدينة فالله تعالى يقول لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام أسألهم[1] أي اليهود ﴿عن القرية[2] التي كانت حاضرة البحر﴾ أي قريبة منه على شاطئه وهي مدينة من مدن أرض القدس والشام،[3] أي أسألهم عن أهلها كيف كان عاقبة أمرهم، إنهم مسخوا قردة وخنازير جزاء فسقهم عن أمر ربهم، وفصل له الحادث تفصيلاً للعبرة والاتعاظ فقال ﴿إذ يعدون في السبت[4]﴾ أي يعتدون ما أذن لهم فيه إلى ما حرم عليهم، اذن لهم أن يصيدوا ما شاءوا إلا يوم السبت فإنه يوم عبادة ليس يوم لهو وصيد وطرب، ﴿إذ تأتيهم حيتانهم﴾ أي أسماكهم ﴿يوم سبتهم شرعاً﴾ ظاهرة على سطح الماء تغريهم بنفسها ﴿ويوم لا يسبتون﴾ أي في باقي أيام الأسبوع ﴿لا تأتيهم﴾ إذاً هم مبتلون، قال تعالى ﴿كذلك﴾ أي كهذا الابتلاء والاختبار ﴿نبلوهم بما كانوا يفسقون﴾ أي بسبب فسقهم عن طاعة ربهم ورسله، إذ ما من معصية إلا بذنب هكذا سنة الله تعالى في الناس. هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٦٣) وهي قوله تعالى ﴿وأسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم[5] حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم، كذلك نبلوهم[6] بما كانوا يفسقون﴾.

وأما الآية الثانية (١٦٤) فالله تعالى يقول لرسوله اذكر لهم أيضاً إذ قالت طائفة منهم أي من أهل القرية لطائفة أخرى كانت تعظ المعتدين في السبت أي تنهاهم عنه لأنه

---

(١) هذا سؤال توبيخ وتقرير، إذ كانوا يتبجّحون بأنهم أبناء الله وأحباؤه وأنهم من سبط خليل الرحمن ابراهيم، ومن سبط اسرائيل، فالسؤال عن القرية السؤال عن أهلها.
(٢) هذه القرية هي أيلة، والمسماة اليوم بالعقبة وهي مدينة على ساحل البحر الأحمر
(٣) وهي مبدأ أرض الشام من جهة مصر.
(٤) النسبت: اليوم الذي بين الجمعة والأحد، ويجمع السبت على أسبت وسبوت وأسبات.
(٥) قيل للحسين بن الفضل: هل تجد في كتاب الله تعالى أنّ الحلال لا يأتيك إلاّ قوتاً وإن الحرام يأتيك جزفًا جزفاً يعني: بكثرة كاثرة قال: نعم في قصة داود وأيلة ﴿إذ تأتيهم حيتانهم...﴾ الآية.
(٦) ﴿نبلوهم﴾: أي بالتشديد عليهم فيما يشرع لهم عقوبة لهم.

معصية وتحذرهم من مغبة الاعتداء على شرع الله تعالى قالت ﴿لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديدا﴾ وهذا القول من هذه الطائفة دال على يأسهم من رجوع إخوانهم عن فسقهم وباطلهم، فأجابتهم الطائفة الواعظة ﴿معذرة[1] إلى ربكم ولعلهم يتقون﴾ أي وعظنا لهم هو معذرة لنا عند الله تعالى من جهة ومن جهة أخرى ﴿لعلهم يتقون﴾ فيتوبوا ويتركوا هذا الاعتداء، قال تعالى ﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾ وخوفوا منه وهو تحريم الله تعالى عليهم الصيد يوم السبت، ومعنى نسوا تركوا ولم يلتفتوا الى وعظ إخوانهم لهم وواصلوا اعتداءهم وفسقهم، قال تعالى ﴿أنجينا الذين ينهون عن السوء﴾ وهم الواعظون لهم من ملّوا ويئسوا فتركوا وعظهم، وممن واصلوا نهيهم ووعظهم ﴿وأخذنا الذين ظلموا[2] بعذاب بئيس﴾ أي شديد البأس ﴿بما كانوا يفسقون﴾ عن طاعة الله ربهم، إذ قال تعالى لهم ﴿كونوا قردة خاسئين[3]﴾ فكانوا قردة خاسئين ذليلين صاغرين حقيرين، ثم لم يلبثوا(مسخاً)[4] إلا ثلاثة أيام وماتوا.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تقرير الوحي والنبوة لرسول الله محمد ﷺ إذ مثل هذا القصص الذي يذكر لبني إسرائيل لن يتم إلا عن طريق الوحي، وإلا فكيف علمه وذكر به اليهود أصحابه وأهله، وقد مضى عليه زمن طويل.

٢- إذا أنعم الله على أمة نعمة ثم أعرضت عن شكرها تعرضت للبلاء أولاً ثم العذاب ثانياً.

٣- جدوى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد نجى الله تعالى الناهين عن المنكر وأهلك الذين باشروه ولم ينتهوا منه دون غيرهم.

---

(١) المعذرة: مصدر ميمي فعله اعتذر على غير قياس، والعذر: السبب الذي تبطل به المؤاخذة بسبب ذنب أو تقصير.

(٢) اختلف في هل الفرقة القائلة: لم تعظون قوماً.. الخ نجت من العذاب أو لا؟ وقد روي أن ابن عباس كان يرى أنها لم تنج حتى أقنعه تلميذه عكرمة فقال بنجاتها مع الفرقة الناهية، لأنّ ترك النهي من الفرقة التي لم تنه كان ليأسهم من استجابة الظالمين.

(٣) يقال: خسأته فخسا أي، باعدته وطردته، وفي هذا دليل على أنّ المعاصي سبب النقم كما أن الطاعات سبب النعم

(٤) أي لم يلبثوا ممسوخين حتى هلكوا والعياذ بالله.

٤- إطلاق لفظ السوء على المعصية مؤذن بأن المعصية مهما كانت صغيرة تحدث السوء في نفس فاعلها.

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

شرح الكلمات :

تأذن [١] : أعلم وأعلن.

ليبعثن : أي ليسلطن

من يسومهم سوء العذاب : أي يذيقهم ويوليهم سوء العذاب كالذلة والمسكنة.

وقطعناهم : أي فرقناهم جماعات جماعات.

بلوناهم بالحسنات والسيئات : اختبرناهم بالخير والشر أو النعم والنقم.

---

(١) آذن وأذن بمعنى واحد، وهو أعلم ومنه قول الشاعر:

فقلت تعلّم إنّ للصيد غرّة   فإلّا تضيّعها فإنك قاتله

فخلف من بعدهم خلف : الخلف بإسكان اللام خلف سوء وبالتحريك خلف خير.

ورثوا الكتاب : أي التوراة.

عرض هذا الأدنى : أي حطام الدنيا الفاني وهو المال.

يمسكون بالكتاب : أي يتمسكون بما في التوراة فيحلون ما أحل الله فيها ويحرمون ما حرم.

معنى الآيات :

ما زال السياق في شأن اليهود فقد أمر تعالى رسوله أن يذكر إعلامه تعالى بأنه سيبعث بكل تأكيد على اليهود إلى يوم القيامة من يذلهم ويضطهدهم عقوبة منه تعالى لهم على خبث طواياهم وسوء أفعالهم، وهذا الإطلاق في هذا الوعيد الشديد يقيد بأحد أمرين الأول بتوبة من تاب منهم ويدل على هذا القيد قوله تعالى في آخر هذه الآية ﴿إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾ أي لمن تاب والثاني بجوار دولة قوية لهم وحمايتها وهذا مفهوم قوله تعالى من سورة آل عمران ﴿ضربت عليهم الذلة والمسكنة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله﴾ وهو الإسلام ﴿وحبل من الناس﴾، وهو ما ذكرناه آنفا. هذا ما دلت عليه الآية الأولى في هذا السياق (١٦٧) وهي قوله تعالى ﴿وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم[١] سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾ وأما الآية الثانية (١٦٨) فقد تضمنت بيان فضل الله تعالى على اليهود وهو أن الله تعالى قد فرقهم في الأرض جماعات جماعات، وأن منهم الصالحين، وأن منهم دون ذلك وأنه اختبرهم بالحسنات وهي النعم، والسيئات وهي النقم تهيئة لهم وإعداداً للتوبة إن آثروا التوبة على الاستمرار في الإجرام والشر والفساد. هذا ما تضمنته الآية الثانية وهي قوله تعالى ﴿وقطعناهم في الأرض أمما منهم الصالحون[٢] ومنهم دون ذلك، وبلوناهم بالحسنات

(١) يسومهم سوء العذاب: يجعل أسوأ العذاب وأشدّه كالقيمة لهم إذ هو حظهم المفروض عليهم، أوّل من تسلط عليهم فسامهم سوء العذاب بختنصر البابلي.

(٢) أي شتتناهم في البلاد بعد تسلط البابليين عليهم وتمزيق ملكهم فعاشوا مشتتين فلم ينتظم ملكهم مدّة طويلة وهم إذ ذاك ما بين صالح وفاسد وانتظم أمرهم مرّة أخرى ثمّ فسقوا فسلّط عليهم أطيطوس الروماني فتفرّقوا مرّة أخرى وما زالوا مفرقين إلى هذه الأيام، باجتماعهم في فلسطين وتكوينهم دولة اسرائيل وعمّا قريب تزول.

والسيئات لعلهم يرجعون﴾ وأما الآية الثالثة (١٦٩) فقد أخبر تعالى أنه قد خلف من بعد تلك الأمة خلف سوء[١] ورثوا الكتاب الذي هو التوراة ورثوه عن أسلافهم ولم يتلزموا بما أخذ عليهم فيه من عهود على الرغم من قراءتهم له فقد آثروا الدنيا على الآخرة فاستباحوا الربا والرشا وسائر المحرمات، ويدعون أنهم سيغفر لهم، وكلما أتاهم مال حرام أخذوه ومنوا أنفسهم بالمغفرة[٢] كذباً على الله تعالى قال تعالى موبخاً لهم ﴿ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق﴾ وقد قرأوا هذا في الكتاب وفهموه ومع هذا يجترئون على الله ويكذبون عليه بأنه سيغفر لهم، ثم يواجههم تعالى بالخطاب مذكراً لهم واعظاً فيقول﴿والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون؟﴾ويفتح الله تعالى باب الرجاء لهم في الآية الرابعة في هذا السياق فيقول ﴿والذين يمسكون بالكتاب[٣]﴾ أي يعملون بحرص وشدة بما فيه من الأحكام والشرائع ولا يفرطون في شيء من ذلك ﴿وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين﴾، ومعنى هذا أنهم مصلحون إن تمسكوا بالكتاب وأقاموا الصلاة، وان الله تعالى سيجزيهم على إصلاحهم لأنفسهم ولغيرهم أعظم الجزاء وأوفره، لأنه تعالى لا يضيع أجر المصلحين.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ بيان موجز لتاريخ اليهود في هذه الآيات الأربع.

٢ـ من أهل الكتاب الصالحون، ومنهم دون ذلك.

٣ـ التنديد بإيثار الدنيا على الآخرة، وبتمني المغفرة مع الإصرار على الإجرام.

٤ـ تفضيل الآخرة على الدنيا بالنسبة للمتقين.

٥ـ الحث على التمسك بالكتاب قراءة وتعلماً وعملاً بإحلال حلاله وتحريم حرامه.

---

(١) الخلف بسكون اللاّم: الأولاد، الواحد والجمع فيه سواء والخلَف: بفتح اللام الْبَدَل ولداً كان أوغيره، وقيل الخلف بالفتح: الصالح وبالجزم: الطالح قال لبيد:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم   وبقيت في خلف كجلد الأجرب

(٢) روى الدارمي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه الرواية التالية وهي منطبقة على واقعنا اليوم ومن قبل اليوم قال: سيبلى القرآن في صدور أقوام كما يبلى الثوب فيتهافت يقرأونه لا يجدون له شهوة ولا لذة يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب أعمالهم طمع لا يخالطه خوف، إن قصّروا قالوا سنبلغ وإن أساءوا قالوا: سيغفر لنا إنّا لا نشرك بالله شيئا.

(٣) مسك وتمسّك بمعنى واحد.

٦- فضل اقام الصلاة.

﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾

شرح الكلمات :

وإذ نتقنا الجبل : أي رفعناه من أصله فوق رؤوسهم.

واقع بهم : أي ساقط عليهم.

خذوا ما آتيناكم بقوة : أي التزموا بالقيام بما عهد إليكم من أحكام التوراة بقوة.

واذكروا ما فيه : أي لا تنسوا ما التزمتم به من النهوض بأحكام التوراة.

من ظهورهم ذريتهم : أي أخذهم من ظهر آدم عليه السلام بأرض نعمان من عرفات.[1]

أشهدهم على أنفسهم : أي بأنه تعالى ربهم وإلههم ولارب لهم غيره ولا إله لهم سواه.

المبطلون : العاملون بالشرك والمعاصي إذ كلها باطل لا حق فيه.

نفصل الآيات : نبينها ونوضحها بتنويع الأساليب وتكرار الحجج وضرب الامثال وذكر القصص.

---

(١) قال ابن عباس : ببطن نعمان وادٍ إلى جنب عرفة

معنى الآيات :

الآية الأولى في هذا السياق هي خاتمة الحديث على اليهود إذ قال تعالى لرسوله ﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة﴾[١] أي اذكر لهم ايها الرسول إذ نتقنا أي رفعنا فوقهم جبل الطور من أصله وصار فوقهم كأنه ظلة ﴿وظنوا أنه واقع بهم﴾ أي ساقط عليهم وقلنا لهم ﴿خذوا ما آتيناكم بقوة﴾[٢] والمراد مما آتاهم أحكام التوراة وما تحمل من الشرائع وأخذها العمل بها والالتزام بكل ما أمرت به ونهت عنه وقوله تعالى ﴿واذكروا ما فيه﴾ أي في الذي آتيناكم من الأوامر والنواهي ، ولا تنسوه فإن ذكره من شأنه أن يعدكم للعمل به فتحصل لكم بذلك تقوى الله عز وجل ، هذا ما دلت عليه الآية الأولى وهي خاتمة سياق الحديث عن اليهود. أما الآية الثانية (١٧٢) وهي قوله تعالى ﴿وإذ أخذ ربك من بني[٣] آدم من ظهورهم ذريتهم﴾[٤] فإنها حادثة جديرة بالذكر والاهتمام لما فيها من الاعتبار، إن الله تعالى أخرج من صلب آدم ذريتـه فأنـطقها بقدرته التي لا يعجزها شيء فنطقت وعقلت الخطاب واستشهدها فشهدت ، وخاطبها ففهمت وأمرها فالتزمت وهذا العهد العام الذي أخذ على بني آدم ، وسوف يطالبون به يوم القيامة ، وهو معنى قوله تعالى ﴿وأشهدهم على أنفسهم : ألست بربكم؟ قالوا بلىٰ شهدنا﴾ أي أنك ربنا ﴿أن تقولوا﴾ يوم القيامة ﴿إنا كنا عن هذا غافلين ، أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من[٥] بعدهم ، أفتهلكنا بما فعل المبطلون﴾ والعبرة من هذا أن الإنسان سرعان ما ينسى ، ويعاهد ولا يفي ، وما وجد من بني اسرائيل من عدم الوفاء هو عائد إلى أصل الإنسان ، وهناك عبرة أعظم وهى أن التوحيد أخذ به العهد على كل آدمي ، ومع الأسف أكثر بني آدم ينكرونه ، ويشركون بربهم وقوله تعالى ﴿وكذلك نفصل الآيات لعلهم يرجعون﴾ وكهذا التفصيل الوارد في هذه السورة وهذا

---

(١) أي : كأنّه لارتفاعه سحابة تظلّ .

(٢) أي : بجدّ وعزم .

(٣) الآثار والأحاديث المثبتة لاستخراج الرب تعالى الذريّة من ظهر آدم كثيرة منها في الموطأ والسنن ونكتفي برواية الشيخين الآتية : قال ﷺ : يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة : أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفديا؟ فيقول: نعم ، فيقول : قد أردتُ منك أهون من ذلك ، قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلاّ أن تشرك) .

(٤) وُجّه نظم الآية هكذا : وإذ أخذ ربك من ظهور بني آدم ذريّتهم ولم يذكر ظهر آدم عليه السلام لأنه من المعلوم أن كل بني آدم منه وأخرجوا يوم الميثاق من ظهره . وقوله : ظهورهم : بدل اشتمال من بين آدم .

(٥) في الآية دليل على أنه لاعذر لأحد في تقليده آباءه وأجداده وأهل بلاده في الشرك والمعاصي كما لا عذر بالجهل أيضاً .

السياق وهو تفصيل عجيب نفصل الآيات تذكيراً للناس وتعليماً ولعلهم يرجعون إلى الحق بعد إعراضهم عنه، وإلى الإيمان والتوحيد بعد انصرافهم عنهما تقليداً واتباعاً لشياطين الجن والإنس.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ بيان نفسيات اليهود وأنها نفسية غريبة وإلا كيف وهم بين يدي الله يتمردون عليه ويعصونه برفضهم الالتزام بما عهد إليهم من أحكام حتى يرفع فوقهم الطور تهديداً لهم، وعندئذ التزموا ولم يلبثوا إلا قليلاً حتى نقضوا عهدهم وعصوا ربهم.

٢ـ عجيب تدبير الله تعالى في خلقه.

٣ـ الكافر كفر مرتين كفر بالعهد الذي أخذ عليه وهو في عالم الذر،[1] وكفر بالله وهو في عالم الشهادة، والمؤمن آمن مرتين، فلذا يضاعف للأول العذاب ويضاعف للثاني الثواب.

٤ـ تقرير مبدأ الخليقة، ومبدأ المعاد الآخر.

وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ

---

(١) لقد حاول كثيرون التخلص من قضية أخذ الرب تعالى من ظهر ادم ذريته وإشهادهم على انفسهم، ونطق الارواح وشهادتها، ولا داعي لهذا أبداً ما دامت الأحاديث والأثار كثيرة وقدرة الله صالحة لكل شيء ولا يعجزها شيء ـ ماهي النملة؟ وقد أنطقها الله فنطقت وأفصحت. إن الحيوان المنوي الذي منه تكون الذرية قال العلماء لو جمعت الحيوانات المنوية كلها من آدم إلى اليوم ووضعت في فنجان ما ملأته. أمع هذا يحاول إبطال الأحاديث وتأويل الآية على غير ظاهرها رجل من أهل العلم؟

كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

شرح الكلمات :

واتل عليهم نبأ : إقرأ عليهم.

فانسلخ منها : كفر بها وتركها وراء ظهره مبتعداً عنها.

فأتبعه الشيطان : لحقه وأدركه.

من الغاوين : من الضالين غير المهتدين الهالكين غير الناجين.

أخلد الى الأرض : مال إلى الدنيا وركن إليها وأصبح لا هم له إلا الدنيا.

يلهث : اللهث: التنفس الشديد مع إخراج اللسان من التعب والإعياء.

ساء : قبح.

مثلاً : أي صفة.

معنى الآيات :

يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ ﴿واتل عليهم﴾ أي اقرأ على قومك وعلى كل من يبلغه هذا الكتاب من سائر الناس ﴿نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها﴾ أي خبر الرجل[١] الذي اعطيناه آيتنا تحمل الأدلة والحجج والشرائع والأحكام والآداب فتركها وابتعد عنها فلم يَتْلُهَا ولم يفكر فيها ولم يعمل بها لا استدلالا ولا تطبيقا ﴿فأتبعه الشيطان﴾ أي لحقه وأدركه وتمكن منه إبليس، لأنه بتخليه عن الآيات وجد الشيطان له طريقاً إليه ﴿فكان من الغاوين﴾ أي الضالين الفاسدين الهالكين ﴿ولو شئنا لرفعناه بها[٢]﴾ أي بالآيات إلى قمم

---

(١) ذكر أهل التفسير ثلاثة رجال قيل إنها نزلت في واحد منهم وهم: بلعم بن باعوراء الكنعاني وكان على زمن موسى، وقيل إنها نزلت في أميّة بن ابي الصلت الثقفي، وقيل في أبي عامر بن صيفي، وأقرب الأقوال أنها نزلت في أميّة بن أبي الصلت إذ هو الذي قال فيه الرسول ﷺ: (آمن شِعْرُهُ وكفر قلبه) إذ شعره كان يفيض بالإيمانيات من عقيدة البعث والجزاء، والتوحيد، والعدل والرحمة ومن شعره قوله:

كل دين يوم القيامة عند الله   إلا دين الحنيفية زور

(٢) أي انّ تلك الآيات التي أعطاه الله إياها من شأنها أن تكون سببا للهداية، وهذا شأن آيات الله فإنها ترفع كل من يؤمن بهاويعمل بماافيها ترفعه في الدنيا والآخرة فهي آلة الرفع الحقيقية لا المذاهب والنظريات المادية.

المجد والكمال، والى الدرجات العلا في الدار الآخرة، ﴿ولكنه أخلد إلى الأرض﴾ أي مال إليها وركن فأكب على الشهوات والسرف في الملذات، وأصبح لا هم له إلا تحصيل ذلك ﴿واتبع هواه﴾ وترك عقله ووحي ربه عنده، فصار مثله أي صفته الملائمة له ﴿كمثل الكلب﴾ أي في اللهث والإعياء، والتبعية وعدم الاستقلال الذاتي ﴿إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾ فحيرته وتعبه لا ينقطعان أبداً. وقوله تعالى ﴿ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ أي هذا المثل الذي ضربناه لذلك الرجل الذي آتيناه آيتنا فانسلخ منها وكان من أمره ما قصصنا عليك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا في كل زمان ومكان، وعليه ﴿فاقصص﴾ يا رسولنا ﴿القصص لعلهم يتفكرون﴾ أي لعل قريشاً تتفكر فتعتبر وترجع إلى الحق فتكمل وتسعد، وقوله تعالى ﴿ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون﴾ أي قبح مثلاً مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فجحدوا بها حتى لا يوحدوا الله تعالى ولا يسلموا اليه، ﴿وأنفسهم كانوا يظلمون﴾ بتدنيسها بآثار الشرك والمعاصي وقوله تعالى ﴿من يهد الله فهو المهتدي﴾ أي من وفقه الله تعالى للهداية[1] فآمن وأسلم واستقام على منهاج الحق فهو المهتدي بحق ومن خذله الله لشدة إعراضه عن الحق وتكبره عنه فضل بإضلال الله تعالى له فأولئك هم الخاسرون الخسران الحق المبين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ خطر شأن هذا الخبر الذي أمر تعالى رسوله أن يتلوه على الناس.

٢ـ ترك القرآن الكريم بعدم تلاوته والتدبر فيه، وترك العمل به مفض بالعبد الى أن يكون هو صاحب المثل في هذه الآية، فأولا يتمكن منه الشيطان فيصبح من الغواة وثانيا يخلد إلى الأرض كما هو حال الكثيرين فلا يكون لأحدهم هم إلا الدنيا. ثم يتبع هواه لا عقله ولا شرع الله، فإذا به صورة لكلب يلهث لا تنقطع حيرته واتباعه لغيره كالكلب سواء بسواء وهذه حال من أعرضوا عن كتاب الله تعالى في هذه الآية فليتأملها العاقل.

٣ـ لا رفعة ولا سيادة ولا كمال إلا بالعمل بالقرآن فهي الآية الرافعة لقوله تعالى ﴿ولو شئنا

---

(١) الهداية: هي إبانة الطريق الموصل إلى السعادة والكمال.

لرفعناه بها﴾ أي بالآيات التي انسلخ منها والعياذ بالله.[1]

٤- الهداية بيد الله ألا فليطلبها من أرادها من الله بصدق القلب وإخلاص النية فإن الله تعالى لا يحرمه منها، ومن أعرض عن الله اعرض الله عنه.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾

شرح الكلمات :

ذرأنا لجهنم : خلقنا لجهنم أي للتعذيب بها والاستقرار فيها.

لا يفقهون بها : كلام الله ولا كلام رسوله.

لا يبصرون بها : آيات الله في الكون.

لا يسمعون بها : الحق والمعروف.

كالأنعام : البهائم في عدم الانتفاع بقلوبهم وأبصارهم وأسماعهم.

الغافلون : أي عن آيات الله، وما خُلقوا له وما يراد لهم وبهم.

ولله الأسماء الحسنى : الأسماء جمع اسم والحسنى مؤنث الأحسن، والأسماء الحسنى لله خاصة دون غيره فلا يشاركه فيها أحد من مخلوقاته.

---

(١) لقد جرب اتباع أتاتورك العثماني العلمانية وجرّب العرب القومية ثم جربوا الاشتراكية حتى قال قائلهم: اشتراكيتنا نوالي من يواليها ونعادي من يعاديها، وجرب بعضهم الشيوعية فهل غنوا هل عزّوا هل كملوا هل شبعوا؟ اللهم لا، لا، لا فلم إذن لا يعملون بالقرآن.

وذروا : اتركـوا.

يلحـــدون : يميلون بها إلى الباطل.

وممن خلقنـا : أي من الناس.

معنى الآيـات :

على إثر ذكر الهدى والضلال وإن المهتدى من هداه الله، والضال من اضله الله أخبر تعالى أنه قد خلق لجهنم كثيراً من الجن والإنس، علما منه تعالى بانهم يرفضون هدايته ويتكبرون عن عبادته، ويحاربون أنبياءه ورسله، وإن رفضهم للهداية وتكبرهم عن العبادة عطل حواسهم فلا القلب يفقه ما يقال له، ولا العين تبصر ما تراه، ولا الأذن تسمع ما تخبر به وتحدث عنه فأصبحوا كالأنعام[1] بل هم أضل لأن الأنعام ما خرجت عن الطريق الذى سيقت له وخلقت لأجله،[2] وأما أولئك فقد خرجوا عن الطريق الذي أمروا بسلوكه، وخلقوا له ألا وهو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له لينجوا من العذاب ويسعدوا في دار النعيم، وقوله تعالى ﴿أولئك هم الغافلون﴾ تقرير لحقيقة وهي أن استمرارهم في الضلال كان نتيجة غفلتهم عن آيات الله الكونية فلا يتأملوها فيعرفوا أن المعبود الحق هو الله وحده ويعبدوه وعن آيات الله التنزيلية فلا يتدبروها فيعلموا أن الله هو الحق المبين فيعبدوه وحده بما شرع لهم في كتابه وسنة نبيه. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٧٩) وأما الآية الثانية في هذا السياق (١٨٠) وهي قوله تعالى ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه[3] بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾ فقد أخبر تعالى فيها بأن الأسماء الحسنى له تعالى خاصة لا يشاركه فيها أحد من خلقه، وقد أخبر النبي ﷺ أنها مائة[4] اسم إلا اسما أي تسعة وتسعون إسماً ووردت مفرقة في القرآن الكريم، وأمر تعالى عباده أن

---

(١) قال عطاء: الأنعام تعرف الله والكافر لا يعرفه، وقيل: الأنعام مطيعة لله، والكافر غير مطيع.

(٢) أي: لا همّة لهم إلا الأكل والشرب واللباس والنكاح، وهم أضل من الأنعام لأنّ الأنعام تبصر مضارها ومنافعها وتتبع مالكها وهم على خلاف ذلك.

(٣) روى أحمد رحمه الله عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (ما أصاب أحداً قط همّ ولا حزم فقال: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض فيّ حكمك، عدل فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك أو علّمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همّي إلا أذهب الله حزنه وهمّه وأبدل مكانه فرحاً).

(٤) روى الشيخان عن أبي هريرة أنّ النبي ﷺ قال: (إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من احصاها دخل الجنة وهو وتر يحبّ الوتر).

يدعوه بها يا الله، يا رحمن يا رحيم يا رب، يا حي يا قيوم، وذلك عند سؤالهم اياه وطلبهم منه ما لا يقدرون عليه[1]، كما أمرهم ان يتركوا أهل الزيغ والضلال الذين يلحدون في أسماء الله فيؤلونها، أو يعطلونها، أو يشبهونها، أمر عباده المؤمنين به أن يتركوا هؤلاء له ليجزيهم الجزاء العادل على ما كانوا يقولون ويعملون. لأن جدالهم غير نافع فيهم ولا مجد للمؤمنين ولا لهم.

هذا ما دلت عليه الآية الثانية أما الثالثة (١٨١) وهي قوله تعالى ﴿وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ إنه لما ذكر أنه خلق لجهنم كثيراً من الجن والإنس ذكر هنا أنه خلق للجنة خلقاً آخر من الإنس والجن فذكر صفاتهم التي يستوجبون بها الجنة كما ذكر صفات أهل جهنم التي استوجبوا بها جهنم، فقال ﴿وممن خلقنا﴾ من الناس ﴿أمة﴾ كبيرة ﴿يهدون﴾ أنفسهم وغيرهم ﴿بالحق﴾ الذي هو هدى الله ورسوله وبالحق يعدلون في قضائهم وأحكامهم فينصفون ويعدلون ولا يجورون، ومن هذه الأمة كل صالح في أمة الإسلام يعيش على الكتاب والسنة اعتقاداً وقولاً وعملاً وحكماً وقضاء وأدباً وخلقاً جعلنا الله منهم وحشرنا في زمرتهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تقيرير مبدأ ان السعادة والشقاء سبق بها قلم القضاء والقدر فكل ميسر لما خلق له.

٢- هبوط الآدمي إلى درك أهبط من درك الحيوان، وذلك عندما يكفر بربه ويعطل حواسه عن الانتفاع بها، ويقصر همه على الحياة الدنيا.

٣- بيان أن البلاء كامن في الغفلة عن آيات الله والإعراض عنها.

٤- الأمر بدعاء الله تعالى بأسمائه الحسنى نحو يا رب يا رحمن، يا عزيز يا جبار.

---

(١) ذكر أهل العلم كيفية الدعاء بها وهي؛: أن يسأل باسم الله ما يناسب حاجته فيقول مثلا: يا رحمن ارحمني، يارزاق ارزقني، ياحكيم احكم لي، يا قوي يا قدير. قوّني واقدرني على كذا!. . يا لطيف ألطف بي، يا عليم علّمني وانفعني بما تعلمني وهكذا. .

(٢) قال مقاتل وغيره في سبب نزول هذه الآية ﴿ولله الأسماء الحسنى﴾ الخ أنّ مشركاً سمع مسلماً يدعو: يا رحمن يا رحيم فقال: أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون رباً واحداً؟ فما بال هذا يدعو ربّين اثنين، فأنزل الله تعالى ﴿ولله الأسماء الحسنى﴾ الخ.

٥ـ حرمة تأويل أسماء الله وصفاته وتحريفها كما قال المشركون في الله، اللات، وفي العزيز العزى سموا بها آلهتهم الباطلة، وهو الإلحاد[١] الذي توعد الله أهله بالجزاء عليه.

٦ـ أهل الجنة الذين خلقوا لها هم الذين يهدون بالكتاب والسنة ويقضون بهما.

وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١٨٦﴾

شرح الكلمات:

كذبوا بآياتنا: أي بآيات القرآن الكريم.

سنستدرجهم[٢]: أي نستميلهم وهم هابطون إلى هوة العذاب درجة بعد درجة حتى ينتهوا إلى العذاب، وذلك بإدرار النعم عليهم مع تماديهم في التكذيب والعصيان حتى يبلغوا الأجل المحدد لهم ثم يؤخذوا أخذة واحدة.

---

(١) الإلحاد لغة: الميل عن وسط الشيء إلى جانبه والإلحاد للميت دفنه في جانب القبر وكان من إلحاد العرب في أسماء الله تعالى أن اشتقوا العزّى من العزيز واللات من الله، ومناة من المنان فألحدوا في أسماء الله تعالى، ومن الإلحاد في أسماء الله تعالى ما يفعله جهال المتصوّفة من وضع أسماء لله تعالى لا توجد في كتاب ولا سنة.

(٢) الاستدراج: هو الأخذ بالتدريج منزلة بعد منزلة، والدَّرْج: لف الشيء ومنه ادراج الميت في كفنه اي: لفه فيه. واستدراج الله تعالى لأهل الغواية كلّما جددوا لله معصية جدد لهم نعمة حتى يأخذهم بذنوبهم وهم لا يشعرون وأحسن من أنشد:

أحسنت ظنك بالأيام إذ حَسُنت ... ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها ... وعند صفو الليالي يحدث الكدر

وأملي لهم إن كيدي متين	: أي أمهلهم فلا أعجل بعقوبتهم حتى ينتهوا إليها بأعمالهم الباطلة وهذا هو الكيد لهم وهو كيد متين شديد.
ما بصاحبهم من جنة	: صاحبهم هو محمد ﷺ، والجنة الجنون والمتحدث عنهم كفار قريش.
ملكوت السموات	: أي ملك السموات إلا أن لفظ الملكوت أعظم من لفظة الملك.
فبأي حديث بعده	: أي بعد القرآن العظيم.
ونذرهم في طغيانهم	: أي نتركهم في كفرهم وظلمهم.
يعمهون	: حيارى يترددون لا يعرفون مخرجاً ولا سبيلا للنجاة.

معنى الآيات

يخبر تعالى أن الذين كذبوا بآياته التي أرسل بها رسوله محمدا ﷺ فلم يؤمنوا بها وأصروا على الشرك والضلال معرضين عن التوحيد والهدى يخبر تعالى أنه سيستدرجهم بالأخذ شيئاً فشيئاً ودرجة بعد درجة حتى يحق عليهم العذاب فينزله بهم فيهلكون ويخبر أنه يملى لهم أيضا كيداً بهم ومكراً، أى يزيدهم في الوقت ويطول لهم زمن كفرهم وضلالهم فلا يعاجلهم بالعقوبة بل إنه يزيد في إرزاقهم وأموالهم حتى يفقدوا الاستعداد للتوبة ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، ولذا قال ﴿وأملي[1] لهم ان كيدى متين[2]﴾ أي قوي شديد. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٨٣) أما الثانية فإنه تعالى يوبخهم على إعراضهم عن التفكير والتعقل فيقول ﴿أو لم يتفكروا﴾ في سلوك الرسول[3] ﷺ وتصرفاته الرشيدة الحكيمة فيعلموا أنه ما به من جنة وجنون كما يزعمون، وإنما هو نذير لهم من عذاب يوم أليم إن هم استمروا على سلوك درب الباطل والشر من الشرك والمعاصي، ونذارته بينه لا لبس فيها ولا غموض لو كانوا يتفكرون. وفي الآية الثالثة (١٨٥) يوبخهم

---

(١) قيل نزلت هذه الآية: ﴿سنستدرجهم﴾ إلى قوله: ﴿متين﴾ نزلت في المستهزئين من قريش وقد أخذوا بعد الإملاء لهم زمناً زاد على العشر سنين، أخذهم في بدر وألقوا في القليب ووبخهم ﷺ بما هم أهله من الخزي والهوان.

(٢) المتين: مأخوذ من المتن وهو اللحم الغليظ الذي عن جانب الصلب أي: الظهر.

(٣) هو المراد بالصاحب في قوله: ﴿ما بصاحبكم من جنة﴾ وهي الجنون، دعا الله تعالى قريشا للتفكر.

على عدم نظرهم[1] في ملكوت السماوات والأرض وفي ما خلق الله من شيء وفي أن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم، إذ لو نظروا في ملكوت السموات والأرض وما في ذلك من مظاهر القدرة والعلم والحكمة لعلموا أن المستحق للعبادة هو خالق هذا الملكوت، لا الأصنام والتماثيل، كما أنهم لو نظروا فيما خلق الله من شيء من النملة إلى النخلة ومن الحبة الى القبة لأدركوا أن الله هو الحق وأن ما يدعون هو الباطل كما أنه حرى بهم أن ينظروا في ما مضى من أعمارهم فيدركوا أنه من الجائز أن يكون قد اقترب أجلهم، وقد اقترب فعلا فليعجلوا بالتوبة حتى لا يؤخذوا وهم كفار أشرار فيهلكون ويخسرون خسراناً كاملاً. ثم قال تعالى في ختام الآية ﴿فبأي حديث[2]﴾ بعد القرآن يؤمنون فالذي لا يؤمن بالقرآن وكله حجج وشواهد وبراهين وأدلة واضحة على وجوب توحيد الله والايمان بكتابه ورسوله ولقائه ووعده ووعيده فبأي كلام يؤمن، اللهم لا شيء، فالقوم إذاً أضلهم الله، ومن أضله الله فلا هادي له ويزرهم في طغيانهم يعمهون حيارى يترددون لا يدرون ما يقولون، ولا أين يتجهون حتى يهلكوا كما هلك من قبلهم. وما ربك بظلام للعبيد.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ عظم خطر التكذيب بالقرآن الكريم حتى أن المكذب ليستدرج حتى يهلك وهو لا يعلم.

٢ـ أكبر موعظة وهي أن على الإنسان أن يذكر دائماً أن أجله قد يكون قريباً وهو لا يدري فيأخذ بالحذر والحيطة حتى لا يؤخذ على غير توبة فيخسر.

٣ـ من لا يتعظ بالقرآن وبما فيه من الزواجر، والعظات والعبر، لا يتعظ بغيره.

٤ـ من أعرض عن كتاب الله مكذباً بما فيه من الهدى فضل، لا ترجى له هداية أبداً.

(١) استدل العلماء بهذه الآية: ﴿أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض﴾ ونظائر هذه الآية وهي كثيرة على وجوب النظر في الآيات والاعتبار بالمخلوقات وهو كذلك، واختلف العلماء في: هل الإيمان يثبت بالتقليد أو لابد من النظر حتى يؤمن، والصحيح: أنّ الإيمان يصح بالتقليد المفيد لليقين كإيمان عوام المسلمين، وأفضل منه ما كان عن نظر واستدلال وهو إيمان العالمين.

(٢) قوله: ﴿فبأي حديث﴾ الخ: الاستفهام لتوقيفهم على ما يجب أن يفكروا فيه وينظروا إليه وتوبيخهم على ترك ذلك.

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ[1] أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٧) قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١٨٨)

شرح الكلمات :

الساعة : أي الساعة بمعنى الوقت الذي تنتهي فيه الحياة الدنيا بالفناء التام.

أيان مرساها[2] : أي متى وقت قيامها.

لا يجليها لوقتها : أي لا يظهرها في وقتها المحدد لها إلا هو سبحانه وتعالى.

بغتة : أي فجأة بدون توقع أو انتظار.

حفي عنها : أي ملحف مبالغ في السؤال عنها حتى أصبحت تعرف وقت مجيئها.

الغيب : الغيب ما غاب عن حواسنا وعن عقولنا فلم يدرك بحاسة ولا بعقل. والمراد به هنا ما سيحدث في المستقبل القريب أو البعيد.

السوء : كل ما يسوء العبد في روحه أو بدنه.

إن أنا إلا نذير : أي ما أنا إلا نذير وبشير فلست بإله يدبر الأمر ويعلم الغيب.

---

(١) السائلون النبي ﷺ عن الساعة كثيرون بعضهم مشركون يسألون للتعجيز وبعضهم يهود يسألون اختباراً وامتحاناً.

(٢) اسم يسأل به عن الزمان لا غير، قال الراجز:

أيّان تقضي حاجتي أيّان   أما ترى لنُجْحِها أوانا

معنى الآيـات :

لا شك أن أفراداً من قريش أو من غيرهم سألوا النبي ﷺ عن الساعة متى قيامها فأخبره تعـالى بسؤالهم وعلمـه الجواب فقال عز وجل وهو يخاطب رسوله ﷺ ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها﴾[1] أي متى وقت وقعوها وقيامها؟ قل لهم ﴿إنما علمها عند ربي﴾ أي علم وقت قيامها عند ربي خاصة ﴿لا يجليها لوقتها﴾ أي لا يظهرها لأول وقتها إلا هو ﴿ثقلت في السمـوات والأرض﴾ أي ثقل أمر علمها عند أهل السموات والأرض ﴿لا تأتيكم إلا بغتة﴾ أي فجأة، ثم قال له يسألونك هؤلاء الجهال عن الساعة ﴿كأنك حفي عنها﴾ أي كأنك ملحف في السؤال مبالغ في طلب معرفتها حتى عرفتها، قل لهم ﴿إنما علمها عند الله﴾ خاصة، ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾، ولذا هم يسألونه، إذ إخفاؤه[2] لحكم عالية لو عرفها الناس ما سألوا ولن يسألوا ولكن الجهل هو الذي ورطهم في مثل هذه الأسئلة وهذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٨٧) أما الآية الثانية (١٨٨) فقد أمر تعالى رسوله أن يقول لأولئك السائلين عن الساعة متى وقت مجيئها ﴿لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً﴾ خيراً ولا شراً ﴿إلا ما شاء الله﴾ شيئاً من ذلك فإنه يُعينُني على جلبه أو على دفعه فكيف إذاً أعلم وقت مجيء الساعة حتى تسألوني عنها ﴿ولو كنت أعلم الغيب﴾[3] كما تظنون لاستكثرت من الخيرات وما مسني السوء. وذلك أني إذا عرفت متى الخصب ومتى الجـدب، ومتى الغلاء ومتى الرخاء يمكنني بسهولة أن استكثر من الخير عند وجوده، وأتوقى الشر وأدفعه قبل حصوله، يا قوم إنما أنا نذير بعواقب الشرك والمعاصي بشير بنتائج الإيمان والتوحيد والعمل الصالح فلست بإله أعلم الغيب، ووظيفتي هذه صراحة هي البشارة والنذارة ينتفع بها المؤمنون خاصة وهو معنى قوله تعالى ﴿إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾.

---

(١) ﴿أيّان مرساها﴾: مرساها مبتدأ، والخبر أيّانِ، وقدّم لأنه اسم استفهام له الصدارة ومعنى مرساها: مثبتها، من قولهم أرسى كذا إذا أثبته، أي: متى وقوعها.

(٢) أي علم الساعة إذ إخفاء علم الساعة كان لحكم عالية لو عرفها السائلون عن الساعة ما سألوا ولكنهم لجهلهم يسألون.

(٣) الغيب: قسمان، حقيقي: وهو ما استأثر الله تعالى به ومن علّمه تعالى منه شيئا علمه. وإضافي: يعلمه بعض ويخفي عن بعض، ومن ادعى علم الغيب فقد كذّب الله ونازعه فيما استأثر به فهو بذلك كافر.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ مرد علم الساعة إلى الله وحده فكل مسؤول عنها غير الله ليس أعلم من السائل.[1]

٢ـ للساعة أشراط بعضها في الكتاب وبعضها في السنة وليس معنى ذلك أنه تحديد لوقتها وإنما هي مقدمات تدل على قربها فقط.

٣ـ استأثر الله بعلم الغيب فلا يعلم الغيب إلا الله، ومَنْ علَّمه الله شيئاً منه علم كما علم نبيه ﷺ بعض المغيبات، والمعلم بالشيء لا يقال فيه يعلم الغيب وإنما يقال علَّمه ربه غيب كذا وكذا فعلمه.

٤ـ إذا كان الرسول لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فكيف يطلب منه ذلك وإذ كان الرسول لا يملك فهل من دونه من العباد يملك؟ إذا عرفت هذا ظهر لك ضلال أقوام يدعون الموتى سائلين ضارعين عند قبورهم ويقولون أنهم لا يدعونهم ولكن يتوسلون بهم فقط.

۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾

---

(١) لحديث مسلم: فقد سأله جبريل عن الإسلام والإيمان والإحسان فبيّن له ذلك فصدقه جبريل وسأله عن الساعة فقال له: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل.

شـرح الكلمـات :

من نفس واحدة	: هي نفس آدم عليه السلام.
وجعل منها زوجها	: أي خلق منها زوجها وهي حواء خلقها من ضلع آدم الأيسر.
ليسكن اليها	: أي ليألفها ويأنس بها لكونها من جنسه.
فلما تغشاها	: أي وطئها.
فمرت به	: أي ذاهبـة جائية تقضى حوائجهـا لخفت الحمـل في الأشهر الأولى.
فلما اثقلت[1]	: أي أصبح الحمل ثقيلاً في بطنها.
لئن آتيتنا صالحاً	: أي ولداً صالحاً ليس حيواناً بل إنساناً.
جعلا له شـركاء	: أي سموه عبدالحارث وهو عبدالله جل جلاله.
فتعالى الله عما يشركون	: أي أهل مكة حيث أشركوا في عبادة الله أصناماً.
وإن تدعوهم إلى الهدى	: أي الأصـنام لا يتبعوكم.

معنى الآيـات :

يقـول تعالى لأولئك السائلين عن الساعة عناداً ومكابرة من أهل الشرك هو أي الله ﴿الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها﴾ الإله المستحق للعبادة لا الأصنام والأوثان ،فالخالق لكم من نفس واحدة وهي آدم وخلق منها زوجها حواء هو المستحق للتأليه والعبادة. دون غيره من سائر خلقه. وقوله ﴿ليسكن إليها﴾: علة لخلقه زوجها منها، إذ لو كانت من جنس آخر لما حصلت الألفة والأنس بينهما وقوله ﴿فلما تغشاها﴾ أي للوطء ووطئهـا ﴿حملت حمـلاً[2] خفيفاً، فمرت[3] به﴾ لخفته ﴿فلما أثقلت﴾ أي أثقلها الحمل

---

(١) قال الفقهاء كمالك: إذا بلغ الحمل ستة أشهر أصبحت الحامل مريضة فلا يصح لها أن تهب من مالها أكثر من الثلث، ومثلها من دخل معركة القتال، وكذا المريض الشديد المرض، والمحبوس للقتل ليس لهم من هبة إلاّ ما كان الثلث فأقل.

(٢) كل ما كان في البطن أو على رأس النخلة أو الشجرة فهو حمل بفتح الحاء وكل ما كان على رأس أو ظهر إنسان أو حيوان فهو حمل بكسر الحاء.

(٣) فمرت به لخفته فلم تتفطن له ولم تفكر في شأنه ومعنى أثقلت أي صارت ذات ثقل من أثقل المريض فهو مثقل فأثقلت صارت مثقلة.

﴿دعوا الله﴾ أي آدم وحواء ربهما تعالى أي سألاه قائلين[1] ﴿لئن آتيتنا صالحاً﴾ أي غلاماً صالحاً ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ أي لك. واستجاب الرب تعالى لهما وآتاهما صالحاً. وقوله تعالى ﴿فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما﴾ حيث سمته حواء عبدالحارث بتغرير من إبليس، إذ اقترح عليهما هذه التسمية، وهي من الشرك الخفي المعفو عنه نحو لولا الطبيب هلك فلان، وقوله ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾ عائد إلى كفار قريش الذين يشركون في عبادة الله أصنامهم وأوثانهم، بدليل قوله بعد ﴿أيشركون ما لا يخلق شيئاً﴾ أي من المخلوقات ﴿وهم﴾ أي الأوثان وعبادها ﴿يخلقون، ولا يستطيعون لهم نصراً﴾ إذا طلبوا منهم ذلك. ﴿ولا أنفسهم ينصرون﴾ لأنهم جمادات لا حياة بها ولا قدرة لها وقوله ﴿وإن تدعوهم﴾ أي وإن تدعوا أولئك الأصنام ﴿إلى الهدى﴾ وقد ضلوا الطريق ﴿لا يتبعوكم[1]﴾ لأنهم لا يعقلون الرشد من الضلال ولذا فسواء عليكم ﴿أدعوتموهم أم أنتم صامتون﴾ أي لم تدعوهم فإنهم لا يتبعونكم ومن هذه حاله وهذا واقعه فهل يصح أن يعبد فتقرب له القرابين ويحلف به، ويعكف عنده، وينادى ويستغاث به؟؟ اللهم لا، ولكن المشركين لا يعقلون.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ بيا ن أصل خلق البشر وهو آدم وحواء عليهما السلام.

٢ـ بيان السر في كون الزوج من جنس الزوج وهو الألفة والأنس والتعاون.

٣ـ بيان خداع إبليس وتضليله للإنسان حيث زين لحواء تسمية ولدها بعبدالحارث وهو عبدالله.

٤ـ الشرك في التسمية[2] شرك خفي معفو عنه وتركه أولى.

٥ـ التنديد بالشرك والمشركين، وبيان جهل المشركين وسفههم إذ يعبدون ما لا يسمع ولا يبصر ولا يجيب ولا يتبع.

---

(١) ما ذهبت إليه في التفسير هو ما ذهب إليه إمام المفسرين ابن جرير الطبري وهو مؤيد بقراءة تشركون بالتاء وبحديث خدعهما مرتين خدعهما في الجنة وخدعهما في الأرض وذهب آخرون إلى أن الكلام على جنس الأدميين تبيناً لحال المشركين من ذرية ادم ودل على قولهم قراءة يشركون بالياء والله أعلم.

(٢) يقول بعضهم: اتبعه: إذا مشى وراءه ولم يدركه، واتّبعه مشددا إذا مشى وراءه وأدركه.

(٣) نحو: عبد النبي، وعبدالرسول، وعبد الضيف كما قال حاتم الطائي:

وإني لعبد الضيف ما دام ثاويا   وما في إلا تيك من شيمة العبد

إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِۦِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾

شرح الكلمات :

عباد أمثالكم : أي مملوكون مخلوقون أمثالكم لمالك واحد هو الله رب العالمين.

شركاءكم : أصنامكم التى تشركون بها.

ثم كيدون : بما استطعتم من أنواع الكيد.

فلا تنظرون : أي فلا تمهلون لأني لا أبالي بكم.

إن وليي الله : أي المتولي أموري وحمايتي ونصرتي الله الذي نزل القرآن.

وتراهم ينظرون : أي وترى الأصنام المنحوتة على شكل رجال ينظرون إليك وهم لا يبصرون.

معنى الآيات :

هذه الآيات الخمس في سياق ما قبلها جاءت مقررة لمبدأ التوحيد مؤكدة له منددة

بالشرك مقبحة له، ولأهله فقوله تعالى ﴿إن الذين تدعون﴾[1] أي دعاء عبادة أيها المشركون ﴿هم عباد أمثالكم﴾[2] أي مملوكون لله، الله مالكهم كما أنتم مملوكون لله مربوبون. فكيف يصح منكم عبادتهم وهم مملكون مثلكم لا يملكون لكم ولا لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، وإن شككتم في صحة هذا فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين في زعمكم أنهم آلهة يستحقون العبادة. إنكم لو دعوتموهم ما استجابوا، وكيف يستجيبون وهم جماد ولا حياة لهم ﴿ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد[3] يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها، أم لهم آذان يسمعون بها﴾ إنه لا شيء لهم من ذلك فكيف إذاً يستجيبون، وبأي حق يعبدون فيدعون ويرجون وهم فاقدوا آثار القدرة والحياة بالمرة.

ثم أمر الله تعالى رسوله أن يعلن لهم أنه لا يخافهم ولا يعدهم شيئاً إذا كانوا هم يعبدونهم ويخافونهم فقال له قل لهؤلاء المشركين ﴿ادعوا شركاءكم ثم كيدون[4]﴾ أنتم وإياهم ﴿فلا تنظرون﴾ أي لا تمهلونى ساعة، وذلك لأن ﴿وليي[5] الله الذي نزل الكتاب﴾ أي القرآن ﴿وهو يتولى الصالحين﴾ فهو ينصرني منكم ويحميني من كيدكم إنه ولي وولّ المؤمنين. أما أنتم ﴿والذين تدعون من دونه﴾ أي من دون الله من هذه الأوثان ﴿لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون﴾ وشيء آخر وهو أنكم ﴿إن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا﴾ فضلاً عن إن تدعوهم إلى الضلال فكيف تصح عبادة من لا يجيب داعيه في الرخاء ولا في الشدة. وأخيراً يقول تعالى لرسوله ﷺ، ﴿وتراهم﴾ أي ترى أولئك الآلهة وهي تماثيل من حجارة ﴿ينظرون[6] إليك﴾ إذا قابلتهم لأن أعينهم مفتوحة دائماً، والحال أنهم لا يبصرون، وهل تبصر الصور والتماثيل؟.

---

(١) تدعون: بمعنى تعبدون لأنّ الدعاء هو العبادة أو تدعون: بمعنى تدعونها عبادة فحذف المفعول ليشمل التعبير المعنيين وهو من بلاغة القرآن.

(٢) أطلق لفظ عباد على الأوثان لأنها مملوكة لله تعالى كعابديها مخلوقة كما هم مخلوقون، ولما اعتقد المشركون أنّ أصنامهم تنفع وتضر عاملها معاملة العقلاء فقال: عباد أمثالكم وقال: ﴿فادعوهم﴾ بدل فادعوهن.

(٣) اليد والرجل والأذن مؤنثات ولذا يصغّرن بالهاء ويقال: يُدية ورُجلية وأذينة وشدّدت الهاء من: يدية لأنّ الياء المحذوفة من يد، ردّت في التصغير.

(٤) أصل كيدون: كيدوني بالياء فحذفت تخفيفاً، والكيد: المكر، والحرب أيضاً يقال: غزا فلم يلق كيداً أي: حرباً.

(٥) وليّ الشيء: هو الذي يحفظه ويمنع الضرر عنه وفي صحيح مسلم عن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ألا إن آل فلان ليسوا لي بأولياء إنما وليي الله وصالح المؤمنين).

(٦) النظر: فتح العينين إلى المنظور إليه، وجملة وتراهم مستأنفة وينظرون في محل نصب على الحال، وجائز أن يكون المراد بـ تراهم ينظرون إليك المشركون أنفسهم وكونهم لا يبصرون لأنهم لم ينتفعوا بأبصارهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات

١ـ إقامة الحجة على المشركين بالكشف عن حقيقة ما يدعون أنها آلهة فإذا بها أصنام لا تسمع ولا تجيب لا أيد لها ولا أرجل ولا آذان ولا أعين.

٢ـ وجوب التوكل على الله تعالى، وطرد الخوف من النفس والوقوف أمام الباطل وأهله في شجاعة وصبر وثبات اعتماداً على الله تعالى وولايته إذ هو يتولى الصالحين.

٣ـ جواز المبلاغة في التنفير من الباطل والشر بذكر العيوب والنقائص.

خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾

شرح الكلمات:

العفو : ما كان سهلاً لا كلفة فيه وهو ما يأتي بدون تكلف.

بالعرف : أي المعروف في الشرع بالأمر به أو الندب إليه.

وأعرض عن الجاهلين : الجاهلون: هم الذين لم تستنر قلوبهم بنور العلم والتقوى، والإعراض عنهم بعدم مؤاخذتهم على سوء قولهم أو فعلهم.

نزغ الشيطان : أي وسوسته بالشر.

فاستعذ بالله : أي قل أعوذ بالله يدفعه عنك إنه أي الله سميع عليم.

اتقوا : أي الشرك والمعاصي.

طائف من الشيطان : أي ألم بهم شيء من وسوسته.

وإخوانهم يمدونهم في الغي : أي إخوان الشياطين من أهل الشرك والمعاصي يمدونهم في الغي.

ثم لا يقصرون : أي لا يكفون عن الغي الذي هو الضلال والشر والفساد.

معنى الآيات:

لما علّم تعالى رسوله كيف يحاج المشركين لإبطال باطلهم في عبادة غير الله تعالى والإشراك به عز وجل علمه في هذه الآية أسمى الآداب وأرفعها، وأفضل الأخلاق وأكملها فقال له: ﴿خذ العفو[1] وأمر بالعرف[2] وأعرض عن الجاهلين﴾ أي خذ من أخلاق الناس ما سهل عليهم قوله وتيسر لهم فعله، ولا تطالبهم بما لا يملكون أو بما لا يعلمون وأمرهم بالمعروف، وأعرض[3] عن الجاهلين منهم فلا تعنفهم ولا تغلظ القول لهم فقد سأل ﷺ عن معنى هذه الآية جبريل عليه السلام فقال له: (تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك)[4] وقوله ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ[5]﴾ أي أثار غضبك حتى لا تلتزم بهذا الأدب الذي أمرت به ﴿فاستعذ بالله﴾ بدفعه عنك إنه سميع لأقوالك عليم بأحوالك. ثم قال تعالى مقرراً حكم الاستعاذة مبيناً جدواها ونفعها لمن يأخذ بها. ﴿إن الذين اتقوا﴾ أي ربهم فلم يشركوا به أحداً ولم يفرطوا في الواجبات ولم يغشوا المحرمات هؤلاء ﴿إذا مسهم طائف[6] من الشيطان﴾ بأن نزغهم بإثارة الغضب أو الشهوة فيهم تذكروا

---

(١) قال ابن الزبير هذه الآية: ﴿خذ العفو..﴾ الخ ما أنزلها الله تعالى إلاّ في أخلاق الناس، وقال جعفر الصادق أمر الله رسوله بمكارم الأخلاق في هذه الآية، وليس في القرآن أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية.

(٢) العرف: المعروف وقرىء العرف: العُرُف بضم العين والراء مثل: الحُلُم والعرف: كل خصلة حسنة ترتضيها العقول وتطمئن إليها النفوس: قال الشاعر:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه   لايذهب العُرف بين الله والناس

(٣) الإعراض عن الجاهلين يكون بعد دعوتهم إلى الحق وإقامة الحجة عليهم فإن لم يستجيبوا يعرض عنهم آذوه أو لم يؤذوه.

(٤) من أحاديث مكارم الأخلاق قوله ﷺ إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق.

(٥) النزغ، والنغز والهمز والوسوسة بمعنى واحد، والنزغ: الإفساد والإغواء والإغراء وعلاج الوسوسة، الاستعاذة بالله تعالى.

(٦) الطيف، والطائف، بمعنى، وقيل: الطيف: الخيال، والطائف: الشيطان. وهو صحيح أيضاً.

أمر الله ونهيه ووعده ووعيده ﴿فإذا هم مبصرون﴾ يرون قبح المعصية وسوء عاقبة فاعلها فكفوا عنها ولم يرتكبوها. وقوله تعالى: ﴿وإخوانهم﴾ أي إخوان الشياطين من أهل الشرك والمعاصي ﴿يمدونهم﴾ أي الشياطين ﴿في الغي﴾ أي في المعاصي والضلالات ويزيدونهم في تزيينها لهم وحملهم عليها، ﴿ثم لا يقصرون﴾ عن فعلها ويكفون عن ارتكابها.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ الأمر بالتزام الآداب والتحلي بأكمل الأخلاق[١] ومن أرقاها العفو عمن ظلم وإعطاء من حرم، وصلة من قطع.

٢ ـ وجوب الاستعاذة بالله عند[٢] الشعور بالوسوسة أو الغضب أو تزيين الباطل[٣].

٣ ـ فضيلة التقوى وهي فعل الفرائض وترك المحرمات.

٤ ـ شؤم أخوة الشياطين حيث لا يقصر صاحبها بمد الشياطين له عن الغي الذي هو الشر والفساد.

وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَاذْكُر رَّبَّكَ

---

(١) روي أنّ النبي ﷺ قال: (أمرني ربي بتسع: الإخلاص في السر والعلانية والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، وأن أعفو عمّن ظلمني وأصل من قطعني، وأعطي من حرمني وأن يكون نطقي ذكرا وصمتي فكرا ونظري عبرة).

(٢) روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يأتي الشيطان أحدكم فيقول له من خلق كذا وكذا حتى يقول له: من خلق ربّك؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته) فقوله: فليستعذ: الأمر للوجوب إذ لا يدفع الشيطان إلا الله تعالى فهو الذي ينجي منه ويجير.

(٣) روي أن النبي ﷺ لما نزلت آية ﴿خذ العفو﴾ الآية قال ﷺ: (كيف يارب والغضب) فنزلت: ﴿وإمّا ينزغنك...﴾ الخ.

﴿فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ (٢٠٥) إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ (٢٠٦)﴾

شرح الكلمات :

قالوا لولا اجتبيتها	: أي اخترعتها واختلقتها من نفسك وأتيتنا بها .
هذا بصائر من ربكم	: أي هذا القرآن حجج وبراهين وأدلة على ما جئت به وادعوكم إليه فهو أقوى حجة من الآية التي تطالبون بها .
فاستمعوا له وانصتوا	: أي اطلبوا سماعه وتكلفوا له، وانصتوا عند ذلك أي اسكتوا حتى تسمعوا سماعاً ينفعكم .
وخيفة	: أي خوفاً .
بالغدو والآصال	: الغدو: أول النهار، والأصال: أواخره.
من الغافلين	: أي عن ذكر الله تعالى .
إن الذين عند ربك	: أي الملائكة .
يسبحونه	: ينزهونه بألسنهم بنحو سبحان الله وبحمده .

معنى الآيات :

مازال السياق في توجيه الرسول ﷺ وتعليمه الرد على المشركين خصومه فقال تعالى عن المشركين من أهل مكة ﴿وإذا لم تأتيهم﴾ يا رسولنا ﴿بآية﴾[1] كما طلبوا ﴿قالوا﴾ لك ﴿لولا﴾ أي هلا ﴿اجتبيتها﴾ أي اخترعتها وأنشأتها من نفسك ما دام ربك لم يعطها قل لهم إنما أنا عبد الله ورسوله لا أفتات عليه ﴿وإنما اتبع ما يوحى إليّ من ربي﴾ وهذا القرآن الذي يوحى إلي بصائر[2] من حجج وبراهين على صدق دعواي وإثبات رسالتي ،

---

(١) وجائز أن يكون المراد من الآية :آية قرآنية يمدحهم فيها ويمدح أصنامهم ولولا هنا أداة تحضيض مثل هلاّ ولا يليها إلا الفعل ظاهرا أو مضمراً.

(٢) البصائر: جمع بصيرة وهي ما به يتضح الحق، وفي هذا تنويه بشأن القرآن العظيم وأنه : أعظم من الآيات أي : الخوارق التي يطالبون بها في الدلالة على الحق الذي ضلّوا عنه .

وصحة ما أدعوكم إليه من الإيمان والتوحيد وترك الشرك والمعاصي ، فهلا آمنتم واتبعتم أم الآية الواحدة تؤمنون عليها والآيات الكثيرة لا تؤمنون عليها أين يذهب بعقولكم؟ وعلى ذكر بيان حجج القرآن وأنواره أمر الله تعالى عباده المؤمنين إذا قرىء عليهم القرآن أن يستمعوا وينصتوا وسواء كان يوم الجمعة على المنبر أو كان في غير ذلك[1] فقال تعالى ﴿فإذا قرىء القرآن فاستمعوا له﴾ أي تكلفوْا السماع وتعمدوه ﴿وانصتوا﴾ بترك الكلام ﴿لعلكم ترحمون﴾ أي رجاء أن ينالكم من هدى القرآن رحمته فتهتدوا وترحموا لأن القرآن هدى ورحمة للمؤمنين .

ثم أمر تعالى رسوله وأمته تابعة له في هذا الكمال فقال تعالى ﴿واذكر ربك في نفسك﴾ أي سراً ﴿تضرعاً﴾ أي تذللاً وخشوعاً ، ﴿وخيفة[2]﴾ أي وخوفاً وخشية ﴿ودون الجهر من القول﴾ وهو السر بأن يسمع نفسه فقط أو من يليه لا غير وقوله ﴿بالغدو والآصال﴾ أي أوائل النهار وأواخره ، ونهاه عن ترك الذكر وهو الغفلة فقال ﴿ولا تكن من الغافلين﴾ وذكر له تسبيح[3] الملائكة وعبادتهم ليتأسى بهم ، فيواصل العبادة والذكر ليل نهار فقال ﴿إن الذين عند ربك﴾ وهم الملائكة في الملكوت الأعلى ﴿لا يستكبرون عن عبادته﴾ أي طاعته بما كلفهم به ووظفهم فيه ﴿ويسبحونه وله يسجدون[4]﴾ فتأس بهم ولا تكن من الغافلين .

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ القرآن أكبر آية بل هو أعظم من كل الآيات التي أعطيها الرسل عليهم السلام .

٢ـ وجوب الإنصات عند تلاوة القرآن وخاصة في خطبة الجمعة على المنبر وعند قراءة الامام في الصلاة الجهرية .

---

(١) أي : كيومي العيدين مثلا ، وهذا الأمر بالاستماع والانصات للقرآن عام يشمل المشركين إذ كانوا يأمرون بعدم الاستماع إليه كما قال تعالى : ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن . . . ﴾ كما يشمل المؤمنين ، إذ سماع القرآن سبيل الهداية ، والإنصات : سماع مع عدم التكلم حال الاستماع .

(٢) الخيفة : أصلها خوفة فقلبت الواو ياءً لانكسار ما قبلها ، وهي مصدر خاف المرء يخاف خوفاً وخيفة ومخافة فهو خائف .

(٣) تسبيح الملائكة معناه : تعظيمهم لله تعالى وتنزيههم له عزّ وجلّ عن الشريك والولد .

(٤) صيغة المضارع في ﴿يسبحون﴾ و﴿يسجدون﴾ لحصر السجود في الله تعالى وعدم جوازه لغيره عز وجل .

٣ـ وجوب ذكر الله بالغدو والآصال .

٤ـ بيان آداب الذكر وهي :

١ـ السـرية .

٢ـ التضرع والتذلل .

٣ـ الخوف والخشية .

٤ـ الإسرار به وعدم رفع الصوت به، لا كما يفعل المتصوفة .

٥ـ مشروعية الأئتساء بالصالحين والاقتداء بهم في فعل الخيرات وترك المنكرات .

٦ـ عريمـة السجـود عند قوله ﴿وله يسجدون﴾[1] وهذه أول سجدات القرآن ويسجد القـارىء والمستمع له، أما السامع فليس عليه سجود، ويستقبل بها القبلة ويكبر عند السجود وعند الرفع منه ولا يسلم وكونه متوضأً أفضل .

سُورَةُ الأَنفَالِ

مدنيـــــة

وآياتهـا خمس وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ

(١) ولو سلم منها في غير الصلاة جاز فقد روي عن بعض السلف، ويستحب لمن سجد أن يقول : (اللهم احطط عني بها وزراً واكتب لي بها اجراً واجعلها لي عندك ذخرا) رواه ابن ماجه . عن ابن عباس عن النبي ﷺ .

يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾

شـرح الكلـمات :

الأنفـال : جمـع نفـل[1] بتحـريك الفـاء: ما يعطيه الإمام لأفراد الجيش تشجيعاً لهم.

ذات بينكـم : أي حقيقة بينكم، والبين الوصلة والرابطة التي تربط بعضكم ببعض من المودة والإخاء.

إنمـا المؤمنون : أي الكاملون في إيمانهـم.

وجلت قلوبـهم : أي خافت إذ الوجل[2]: هو الخوف لا سيما عند ذكر وعيده ووعده.

وعلى ربهم يتوكلون : على الله وحده يعتمدون وله أمرهم يفوضون.

ومما رزقناهـم : أي أعطيناهـم.

أولئـــك : أي الموصوفون بالصفات الخمس السابقة.

لهـم درجات : منازل عالية في الجنة.

ورزق كريـــم : أي عطاء عظيم من سائر وجوه النعيم في الجنة.

معنى الآيـات :

هذه الآيات نزلت في غزوة بدر وكان النبي ﷺ قد نفل[3] بعض المجاهدين لبلائهم

---

(١) النفل: بسكون الفاء: اليمين وفي الحديث: (فتبرئكم يهود بنفل خمسين منهم) وهو أيضاً الانتفاء من الشيء وفي الحديث: (فانتفل من ولدها) والنفل: نبت معروف، والنفل: الزيادة على الفرائض في الصلاة.

(٢) قيل لبعضهم: متى تعرف أنه استجيب دعاؤك؟ قال: إذا اقشعرّ جلدي ووجل قلبي، وفاضت عيناي بالدموع، وقالت عائشة رضي الله عنها: ما الوجل في القلب إلا كضَرَمَة السَعفَة، فإذا وجل أحدكم فليدع عند ذلك.

(٣) هذا ما ذهب إليه ابن جرير ورجحه محتجا عليه بشواهد اللغة والتاريخ والجمهور على أن المراد بالأنفال هنا غنائم بدر، والكل محتمل إذ حصل النفل، وحصلت الغنيمة، ولما اختلفوا ردت إلى الله ورسوله ثم حكم الله تعالى فيها بقوله: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء..﴾ الآية.

وتخلف آخرون فحصلت تساؤلات بين المجاهدين لم يعطي هذا ولم لا يعطي ذاك فسألوا الرسول ﷺ فأنزل الله تعالى ﴿يسألونك[1] عن الأنفال؟﴾[2] فأخبرهم أنها ﴿لله والرسول﴾ فالله يحكم فيها بما يشاء والرسول يقسمها بينكم كما يأمره ربه[3] وعليه فاتقوا الله تعالى بترك النزاع والشقاق، ﴿وأصلحوا﴾ ذات بينكم بتوثيق عرى المحبة بينكم وتصفية قلوبكم من كل ضغن أو حقد نشأ من جراء هذه الأنفال واختلافكم في قسمتها، ﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾ في كل ما يأمرانكم به وينهيانكم عنه ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ حقاً فامتثلوا الأمر واجتنبوا النهي. وقوله تعالى ﴿إنما المؤمنون﴾ أي الكاملون في إيمانهم الذين يستحقون هذا الوصف وصف المؤمنين هم ﴿الذين إذا ذكر الله﴾ أي اسمه أو وعده أو وعيده ﴿وجلت قلوبهم[4]﴾ أي خافت فأقلعت عن المعصية، وأسرعت إلى الطاعة، ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً﴾ أي قوي إيمانهم وعظم يقينهم، ﴿وعلى ربهم﴾ لا على غيره ﴿يتوكلون﴾ وفيه تعالى يثقون. وإليه تعالى أمورهم يفوضون، ﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ بأدائها بكامل شروطها وكافة أركانها وسائر سننها وآدابها، ﴿ومما رزقناهم﴾ أي اعطيناهم ﴿ينفقون﴾ من مال وعلم، وجاه وصحة بدن من كل هذا ينفقون في سبيل الله ﴿أولئك﴾ الموصوفون بهذه الصفات الخمس ﴿هم المؤمنون حقاً﴾ وصدقاً، ﴿لهم درجات عند ربهم﴾ أي منازل عالية متفاوتة العلو والارتفاع في الجنة، ولهم قبل ذلك ﴿مغفرة﴾ كاملة لذنوبهم، ﴿ورزق كريم﴾[5] طيب واسع لا تنقيص فيه ولا تكدير، وذلك في الجنة دار المتقين.

---

(١) السؤال معناه: الطلب فإن عدي بعن: كان لطلب معرفة شيء نحو: ﴿يسألونك عن الأنفال﴾ وإن عدي بنفسه نحو: (سأله مالا فهو: لطلب إعطاء الشيء المطلوب).

(٢) الأنفال: جمع نفلٌ بفتح النون والفاء معاً كعَمَلٌ وهو مشتق من النافلة التي هي الزيادة في العطاء، وقد أطلق العرب لفظ النفل على الغنائم في الحرب اعتباراً منهم لها على أنها زيادة عن المقصود الأهم الذي هو إبادة العدو، ولذا كان بعض صناديدهم لا يأخذونها وهذا عنترة يقول:

يخبرك من شهد الوقيعة أنني   أغشى الوغى وأعفّ عند المغنم

(٣) اختلف في النفل هل يكون من الخمس أو هو خمس الخمس من الغنيمة؟ والصحيح أنه ما يعطيه الإمام من شاء من المقاتلين لبلائه من الخمس.

(٤) وجل: كضرب، يوجل كيضرب ويجل كيلد باسقاط فاء الكلمة والمصدر: الوجل كالعسل، وموجل كموعد.

(٥) لفظ (الكريم) يصف به العرب كل شيء حسن في بابه لا قبح فيه ولا شكوى منه.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ الأمر بتقوى الله عز وجل وإصلاح ذات البين.

٢ـ الإيمان يزيد[١] بالطاعة وينقص بالعصيان.

٣ـ من المؤمنين من هو كامل الإيمان، ومنهم من هو ناقصه.

٤ـ من صفات أهل الإيمان الكامل ما ورد في الآية الثانية من هذه السورة وما بعدها[٢]

كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ[٣] وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

شـرح الكلمات :

من بيتك : أي المدينة المنورة.

لكارهـون : أي الخروج للقتال.

إحدى الطائفتين : العير «القافلة» أو النفير: نفير قريش وجيشها.

---

(١) سئل الحسن البصري فقيل له: يا أبا سعيد أمؤمن أنت؟ فقال: الإيمان إيمانان، فإن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر فأنا به مؤمن، وإن كنت تسألني عن قول الله تعالى: ﴿إنّما المؤمنون الذين ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ إلى قوله: ﴿أولئك هم المؤمنون حقاً﴾ فوالله ما أدري أنا منهم أم لا؟

(٢) وهما الآية الثالثة والرابعة.

(٣) الباء للمصاحبة أي: أخرجه إخراجاً مصاحبا للحق ليس فيه من الباطل شيء قط.

الشـــوكـــة[1] : الســـلاح في الحـــرب.
يبطل الباطـل : أي يظهر بطلانه بقمع أهله وكسر شوكتهم وهزيمتهم.
ولو كره المجرمون : كفار قريش المشركـون.

معنى الآيـات :

قوله تعالى ﴿كما أخرجك ربك﴾ أيها الرسول ﴿من بيتك﴾ بالمدينة ﴿بالحق﴾ متلبساً به حيث خرجت بإذن الله ﴿وان فريقاً[2] من المؤمنين لكارهون﴾ لما علموا بخروج قريش لقتالهم، وكانت العاقبة خيراً عظيماً، هذه الحال مثل حالهم لما كرهوا نزع الغنائم من أيديهم وتوليك قسمتها بإذننا، على أعدل قسمة وأصحها وأنفعها فهذا الكلام في هذه الآية (٥) تضمنت تشبيه حال حاضرة بحال ماضيه حصلت في كل واحدة كراهة بعض المؤمنين، وكانت العاقبة في كل منهما خيراً والحمد لله، وقوله تعالى ﴿يجادلونك في الحق بعدما تبين﴾ أي يجادلونك في القتال بعدما اتضح لهم أن العير[3] نجت وأنه لم يبق إلا النفير[4] ولا بد من قتالها. وقوله تعالى ﴿كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون﴾ أي إلى الموت عياناً يشاهدونه أمامهم وذلك من شدة كراهيتهم لقتال لم يستعدوا له ولم يوطنوا أنفسهم لخوض معاركه. وقوله تعالى ﴿وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين﴾ أي اذكر يا رسولنا لهم الوقت الذي يعدكم الله تعالى فيه إحدى الطائفتين العير والنفير، وهذا في المدينة وعند السير أيضاً ﴿أنها لكم﴾ أي تظفرون بها، ﴿وتودون﴾ أي تحبون أن تكون ﴿غير ذات الشوكة﴾ وهي عير أبي سفيان ﴿تكون لكم﴾، وذلك لأنها مغنم بلا مغرم لقلة عددها وعددها، والله يريد ﴿أن يحق الحق﴾ أي يظهره بنصر أوليائه وهزيمة أعدائه، وقـولـه ﴿بكلماته﴾ أي التي تتضمن أمره تعالى إياكم بقتال الكافرين، وأمره الملائكة بالقتال معكم، وقوله ﴿ويقطع دابر الكافرين﴾ أي بتسليطكم عليهم فتقتلوهم حتى لا

---

(١) وكلّ نبت له حدّ يقال له: شوك واحده: شوكة.
(٢) هذه الجملة حالية: والعامل فيها: أخرجك ربّك.
(٣) هي قافلة أبي سفيان التجارية التي يصحبها زهاء ثلاثين رجلا من قريش.
(٤) النفير: جيش قريش الذي استنفرت فيه قرابة ألف مقاتل.

تبقوا منهم غير من فر وهرب، وقوله ﴿ليحق الحق﴾ أي لينصره ويقرره وهو الإسلام ﴿ويبطل الباطل﴾ وهو الشرك ﴿ولو كره﴾ ذلك ﴿المجرمون﴾ أي المشركون الذين أجرموا على أنفسهم فأفسدوها بالشرك، وعلى غيرهم أيضاً حيث منعوهم من قبول الإسلام وصرفوهم عنه بشتى الوسائل.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- تقرير قاعدة ﴿عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم﴾ وذكر نبذة عن غزوة بدر الكبرى وبيان ذلك أن النبي ﷺ بلغه أن عيراً لقريش تحمل تجارة قادمة من الشام في طريقها إلى مكة وعلى رأسها أبوسفيان بن حرب فانتدب النبي ﷺ بعض أصحابه للخروج إليها عسى الله تعالى أن يغنمهم إياها، لأن قريشاً صادرت أموال بعضهم وبعضهم ترك ماله بمكة وهاجر. فلما خرج النبي ﷺ وأثناء مسيره أخبرهم أن الله تعالى وعدهم إحدى الطائفتين، لا على التعيين جائز أن تكون العير، وجائز أن تكون النفير الذي خرج من مكة للذب عن العير ودفع الرسول وأصحابه عنها حتى لا يستولوا عليها، فلما بلغ الرسول نبأ نجاة العير[1] وقدوم النفير استشار أصحابه فوافقوا على قتال المشركين ببدر وكره بعضهم ذلك، وقالوا: انا لم نستعد للقتال فأنزل الله تعالى هذه الآيات ﴿يجادلونك في الحق بعد ما تبين﴾ إلى قوله ﴿. . . ولو كره المجرمون﴾.

٢- بيان ضعف الإنسان في رغبته في كل مالا كلفة فيه ولا مشقة.

٣- إنجاز الله تعالى وعده للمؤمنين إذ أغنمهم طائفة النفير وأعزهم بنصر لم يكونوا مستعدين له.

---

(١) لأنّ أبا سفيان لما بلغه بواسطة بعض الركبان أنّ محمداً قد خرج برجاله يطلب عيره استأجر ضمضم الغفاري فبعثه إلى أهل مكة يخبرهم بخروج الرسول ﷺ، وأمرهم أن ينفروا لإنقاذ قافلتهم، وأما الرسول ﷺ وأصحابه فإنهم لما بلغوا في مسيرهم وادي ذفران وخرجوا منه أتاهم نبأ خروج قريش ليمنعوا قافلتهم فاستشار النبي ﷺ أصحابه فقام أبو بكر وقال فأحسن ثم قال عمر فقال فأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله: امض لما أمرك الله به فنحن معك، والله لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى: (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى نبلغه فقال له الرسول ﷺ خيرا ودعا له بخير ثم قال: أشيروا عليّ أيها الناس، وهو يريد الأنصار فقال له سعد بن معاذ: كأنك تعنينا يا رسول الله قال: أجل، فقال سعد كلمة سرّت النبي ﷺ وعندها قال: سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين.

٤ـ ذكر نبذة عن وقعة بدر وهي من أشهر الوقائع وأفضلها وأهلها من أفضل الصحابة وخيارهم إذ كانت في حال ضعف المسلمين حيث وقعت في السنة الثانية من الهجرة وهم أقلية والعرب كلهم أعداء لهم وخصوم.

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات:

تستغيثون[1] : أي تطلبون الغوث من الله تعالى وهو النصر على

(١) روى مسلم عن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يوم بدر نظر إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر، فاستقبل القبلة ثم مدّ يديه فجعل يهتف بربه: اللهم أنجزلي ما وعدتني، اللهم ائتني ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض) فما زال يهتف بربّه مادّا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجزلك ما وعدك فأنزل الله تعالى: ﴿إذ تستغيثون ربكم...﴾ الآية.

أعدائكم.

مـــردفيـــن	: أي متتابعين بعضهم ردف بعض أي متلاحقين.
وما جعله الله إلا بشرى	: أي الإمداد بالملائكة إلا بشرى لكم بالنصر.
إذ يغشيكم النعاس	: أي يغطيكم به والنعاس: نوم خفيف جداً.
أمنـــة	: أي أمناً من الخوف الذي أصابكم لقلتكم وكثرة عدوكم.
منـــه	: أي من الله تعالى.
رجز الشيطان	: وسواسه لكم بما يؤلمكم ويحزنكم.
وليربط على قلوبكم	: أي يشد عليها بالصبر واليقين.
ويثبت به الأقدام	: أي بالمطر أقدامكم حتى لا تسوخ في الرمال.
الـــرعـــب	: الخوف والفـــزع.
فاضربوا كل بنان	: أي أطراف اليدين والرجلين حتى يعوقهم عن الضرب والمشي.
شاقوا الله ورسوله	: أي خالفوه في مراده منهم فلم يطيعوه وخالفوا رسوله.
ذلكم فذوقوه	: أي العذاب فذوقوه.
عذاب النار	: أي في الآخـرة.

معنى الآيـات :

مازال السياق في أحداث غزوة بدر، وبيان منن الله تعالى على رسوله والمؤمنين إذ يقـول تعالى لرسوله ﴿إذ تستغيثون ربكم﴾ أي اذكر يا رسولنا حالكم لما كنتم خائفين لقلتكم وكثرة عدوكم فاستغثتم ربكم قائلين: اللهم نصرك، اللهم أنجز لي ما وعدتني ﴿فـاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين﴾ أي متتالين يتبع بعضهم بعضاً ﴿وما جعله الله إلا بشرى﴾ أي لم يجعل ذلك الإمداد إلا مجرد بشرى لكم بالنصر على عدوكم ﴿ولتـطمئن به قلوبكم﴾ أي تسكن ويذهب منها القلق والاضطراب، أما النصر فمن عند الله، ﴿إن الله عزيز حكيم﴾ عزيز غالب لا يحال بينه وبين ما يريده، حكيم بنصـر من هو أهـل للنصر، هذه نعمـة، وثانية: اذكروا ﴿إذ يغشيكم﴾ ربكم

﴿النعاس أمنة منه﴾[1] أي أماناً منه تعالى لكم فإن العبد إذا خامره النعاس هدأ وسكن وذهب الخوف عنه، وثبت في ميدان المعركة لا يفر ولا يرهب ولا يهرب، ﴿وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان﴾ وهذه نعمة أخرى، فقد كانت الأرض رملية تسوخ فيها أقدامهم لا يستطيعون عليها كراً ولا فراً، وقل ماؤهم فصاروا ظماء عطاشاً، محدثين، لا يجدون ما يشربون ولا ما يتطهرون به من احداثهم ووسوس الشيطان لبعضهم بمثل قوله: تقاتلون محدثين كيف تنصرون، تقاتلون وأنتم عطاش وعدوكم ريان إلى أمثال هذه الوسوسة، فأنزل الله تعالى على معسكرهم خاصة مطراً غزيراً شربوا وتطهروا وتلبدت به التربة فأصبحت صالحة للقتال عليها، هذا معنى قوله تعالى ﴿وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان﴾ أي وسواسه ﴿وليربط على قلوبكم﴾ أي يشد عليها بما أفرغ عليها من الصبر وما جعل فيها من اليقين لها ﴿ويثبت به[2] الأقدام﴾ ونعمة أخرى واذكر ﴿إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم﴾ بتأييدي ونصري ﴿فثبتوا الذين آمنوا﴾ أي قولوا لهم من الكلام تشجيعاً لهم ما يجعلهم يثبتون في المعركة ﴿سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾ أي الخوف أيها المؤمنون ﴿فاضربوا[3] فوق الأعناق﴾ أي اضربوا المذابح ﴿واضربوا منهم كل بنان[4]﴾ أي اطراف اليدين والرجلين حتى لا يستطيعوا ضرباً بالسيف، ولا فراراً بالأرجل وقوله تعالى ﴿ذلك[5] بأنهم شاقوا الله ورسوله﴾ أي عادوهما وحاربوهما ﴿ومن يشاقق الله ورسوله﴾ ينتقم منه ويبطش به ﴿فإن الله شديد العقاب﴾، وقوله تعالى ﴿ذلكم فذوقوه﴾ أي ذلكم العذاب القتل والهزيمة فذوقوه في الدنيا وأما الآخرة فلكم فيها عذاب النار.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

---

(١) أمنة: مصدر امن أمنة وأمناً وأماناً وهو منصوب على الحال، أو المصدرية.

(٢) هذا عائد على الماء الذي شدّ دهس ارض الوادي، ويصح أن يكون عائدا إلى ربط القلوب، فيكون تثبيت الأقدام عبارة عن النصر والمعونة في الحرب.

(٣) هذا الأمر ارشادي للملائكة وللمؤمنين معاً.

(٤) واحد البنان: بنانة، والمراد بها هنا الأصابع الممسكة بالسيف والرمح حتى تعجز عن قتال المسلمين وضربهم.

(٥) ذلك: مبتدأ والخبر محذوف تقدير الكلام: الأمر ذلك، والجملة تعليلية لأنّ الباء في قوله: ﴿بأنهم﴾ سببية.

١ـ مشروعية الاستغاثة بالله تعالى وهي عبادة فلا يصح أن يستغاث بغير الله تعالى .

٢ـ تقرير عقيدة أن الملائكة عباد لله يسخرهم في فعل ما يشاء ، وقد سخرهم للقتال مع المؤمنين فقاتلوا ، ونصروا وثبتوا وذلك بأمر الله تعالى لهم بذلك .

٣ـ تعداد نعم الله تعالى على المؤمنين في غزوة بدر وهي كثيرة .

٤ـ مشاقة[1] الله ورسوله كفر يستوجب صاحبها عذاب الدنيا وعذاب الآخرة .

٥ـ تعليم الله تعالى عباده كيف يقاتلون ويضربون أعداءهم ، وهذا شرف كبير للمؤمنين .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ ۚ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾

شرح الكلمات :

زحفاً[2] : أي زاحفين لكثرتهم ولبطىء سيرهم كأنهم يزحفون على

(١) أصل المشاقة : العداوة بعصيان وعناد ، مشتقة من الشق بكسر السين الذي هو الجانب ، فالمشاق يقف عن مشاقه موقف العداء والعصيان ، والتمرّد في جانب لا يلتقي معه .

(٢) الزّحف : الدنوّ قليلا قليلا ، وأصله ، الاندفاع على الإلية ، ثم سمي كل ماش إلى حرب آخر زاحفاً ، وازدحف القوم : إذا مشى بعضهم إلى بعض والزحاف : من علل الشعر وهو: أن يسقط من الحرفين حرف فيزحف أحدهما إلى الآخر.

الأرض.

فلا تولوهم الأدبار : أي لا تنهزموا فتفروا أمامهم فتولونهم أدباركم.
متحرفاً لقتال : أي مائلاً من جهة إلى أخرى ليتمكن من ضرب العدو وقتاله.
أو متحيزاً إلى فئة : أي يريد الانحياز إلى جماعة من المؤمنين تقاتل.
فقد باء بغضب : أي رجع من المعركة مصحوباً بغضب من الله تعالى لمعصيته إياه.
وليبلي : أي لينعم عليهم بنعمة النصر والظفر على قلة عددهم فيشكروا.
فئتكم : مقاتلتكم من رجالكم الكثيرين.

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن غزوة بدر وما فيها من جلائل النعم وخفى الحكم ففي أولى هذه الآيات ينادي الرب تبارك وتعالى عباده المؤمنين فيقول ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً﴾[1] أي وأنتم وإياهم زاحفون إلى بعضكم البعض ﴿فلا تولوهم الأدبار﴾[2] أي لا تنهزموا أمامهم فتعطوهم أدباركم فتمكنوهم من قتلكم، إنكم أحق بالنصر منهم، وأولى بالظفر والغلب إنكم مؤمنون وهم كافرون فلا يصح منكم انهزام أبداً ﴿ومن يولهم يومئذ دبره﴾ اللهم ﴿إلا متحرفاً لقتال﴾ أي مائلاً من جهة إلى أخرى ليكون ذلك أمكن له في القتال ﴿أو متحيزاً إلى فئة﴾ أي منحازاً إلى جماعة من المؤمنين تقاتل فيقاتل معها ليقويها أو يقوى بها، من ولى الكافرين دبره في غير هاتين الحالتين ﴿فقد باء بغضب من الله﴾ أي رجع من جهاده مصحوباً بغضب من الله ﴿ومأواه جهنم وبئس المصير﴾[3]

(١) هذه الجملة اعتراضية بين قوله تعالى: ﴿إذ يوحي ربك﴾ وبين قوله: ﴿فلم تقاتلوهم﴾ ومن فوائدها تدريب المؤمنين على الشجاعة، والإقدام والثبات عند اللقاء، وهي خطة محمودة عند العرب فزادها الإسلام تقوية، قال شاعرهم وهو الحصين بن الحمام:

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن اتقدما

(٢) ﴿فلا تولوهم الأدبار﴾ فيه استبشاع الهزيمة بذكر لفظ الدبر، وهو كذلك.

(٣) الحمد لله أنه لم يقل خالدا فيها بل قال: ﴿مأواه جهنم﴾ ولذا ورد أنه ﷺ قال: (من قال: استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفر له وإن كان قد فرّ من الزحف).

وذلك بعد موته وانتقاله إلى الآخرة، وقوله تعالى ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم﴾ يخبر تعالى عباده المؤمنين الذين حرم عليهم التولي ساعة الزحف وتوعدهم بالغضب وعذاب النار يوم القيامة أنهم لم يقتلوا المشركين على الحقيقة وإنما الذي قتلهم هو الله فهو الذي أمرهم وأقدرهم وأعانهم، ولولاه ما قتل أحد ولا مات فليعرفوا هذا حتى لا يخطر ببالهم أنهم هم المقاتلون وحدهم. وحتى رمي رسوله المشركين بتلك التي وصلت إلى جل أعين المشركين في المعركة فأذهلتهم وحيرتهم بل وعوقتهم عن القتال وسببت هزيمتهم كان الله تعالى هو الرامى الذي أوصل التراب الى أعين المشركين، إذ لو ترك الرسول ﷺ لقوته لما وصلت حثية التراب إلى أعين الصف الأول من المقاتلين المشركين، ولذا قال تعالى ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾[1] وقوله تعالى ﴿وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً﴾ أي فعل تعالى ذلك القتل بالمشركين والرمي بإيصال التراب إلى أعينهم ليذل الكافرين ويكسر شوكتهم ﴿وليبلي[2] المؤمنين﴾ أي ولينعم عليهم الأنعام الحسن بنصرهم وتأييدهم في الدنيا وإدخالهم الجنة في الآخرة. وقوله تعالى ﴿إن الله سميع عليم﴾ بمقتضى هاتين الصفتين كان الإبلاء الحسن، فقد سمع تعالى أقوال المؤمنين واستغاثتهم به، وعلم ضعفهم وحاجتهم فأيدهم ونصرهم فكان ذلك منه إبلاء حسناً، وقوله تعالى ﴿ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين﴾ أي ذلكم القتل والرمي والإبلاء كله حق واقع بقدرة الله تعالى ﴿وأن الله موهن﴾ أي مضعف ﴿كيد الكافرين﴾ فكلما كادوا كيداً بأوليائه وأهل طاعته أضعفه وأبطل مفعوله، وله الحمد والمنة. وقوله تعالى ﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح، وإن تنتهوا فهو خير لكم﴾ هذا خطاب للمشركين حيث قال أبو جهل وغيره من رؤساء المشركين[3] «اللهم أينا كان أفجر لك واقطع للرحم فأحنه اليوم، اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة» أي أهلكه الغداة يوم بدر فأنزل الله تعالى ﴿إن

---

(١) حصل الرمي من الرسول ﷺ عدة مرات منها يوم حنين ومنها يوم أحد ومنها يوم خيبر إذ رمى سهما في حصن فسقط السهم على ابن أبي الحقيق فقتله وهو نائم في فراشه، ومنها يوم بدر، وهو المراد هنا إذ السورة مدنية ولم يسبق هذا الرمي إلا الذي رمى به الواقفين على بابه في مكة يريدون انفاذ القتل الذي حكمت به قريش عليه ﷺ فقد روي أنه رماهم بحثية من تراب، فاشتغلوا بمسح أعينهم من التراب حتى نجا منهم ﷺ.

(٢) ﴿وليبلي﴾ الجملة متعلقة بمحذوف تقديره: فعل ذلك أي النصر، والهزيمة للكفار ليبلي المؤمنين... الخ.

(٣) قالوا هذا وهم يتجهّزون للقتال في مكة، وقالوه في ساحة بدر قبل القتال.

تستفتحوا﴾ أي تطلبوا الفتح وهو القضاء بينكم وبين نبينا محمد ﴿فقد جاءكم الفتح﴾ وهي هزيمتهم في بدر ﴿وإن تنتهوا﴾ تكفوا عن الحرب والقتال وتنقادوا لحكم الله تعالى فتسلموا ﴿فهـو خير لكم وإن تعـودوا﴾ للحرب والكفر ﴿نعد﴾ فنسلط عليكم رسولنا والمؤمنين لنذيقكم على أيديهم الذل والهزيمة ﴿ولن تغني عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت﴾ وبلغ تعداد المقاتلين منكم عشرات الآلاف، هذا وأن الله دوماً مع المؤمنين فلن يتخلى عن تأييدهم ونصرتهم ما استقاموا على طاعة ربهم ظاهراً وباطناً.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ حرمة الفرار من العدو الكافر عند[1] اللقاء لما توعد الله تعالى عليه من الغضب والعذاب ولعد الرسول له من الموبقات السبع في حديث مسلم «والتولي يوم الزحف».

٢ـ تقرير مبدأ أن الله تعالى خالق كل شيء وأنه خلق العبد وخلق فعله، إذ لما كان العبد مخلوقاً وقدرته مخلوقة، ومأموراً ومنهياً ولا يصدر منه فعل ولا قول إلا بإقدار الله تعالى له كان الفاعل الحقيقي هو الله، وما للعبد إلا الكسب بجوارحه[2] وبذلك يجزى الخير بالخير والشر بمثله. عدل الله ورحمته.

٣ـ آية وصول حثية التراب من كف الرسول ﷺ إلى أغلب عيون المشركين في المعركة.

٤ـ إكرام الله تعالى وإبلاؤه لأولياءه البلاء الحسن فله الحمد وله المنة.

٥ـ ولاية الله للمؤمنين الصادقين هى أسباب نصرهم وكمالهم وإسعادهم.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ

---

(١) هذا التحريم مقيّد بما في آخر السورة من أنّ ما زاد على المثلين يجوز الفرار معه كالواحد مع أكثر من اثنين، والمائة مع أكثر من مائتين، والفين مع أكثر من أربعة آلاف.

(٢) مع ما وهبه الله من حرية الإرادة والقدرة على الاختيار ومع هذا فإنه لا يريد إلا ما أراده الله ولا يقع اختياره إلا على ما كتبه الله له أو عليه وقضى به أزلاً وهنا تتجلى عظمة الرب تبارك وتعالى.

وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾

شـرح الكلـمات :

ولا تولوا عنه : أي لا تعرضوا عن طاعته إذا أمركم أو نهاكم كأنكم لا تسمعون.

إن شـــر الدواب : أي شر ما يدب على الأرض الكافرون

لأســـمعهـم : لجعلهم يسمعون أو لرفع المانع عنهم فسمعوا واستجابوا.

معنى الآيـات :

ينادي الله تعالى عباده المؤمنين[١] الذين آمنوا به وبرسوله وصدقوا بوعده ووعيده يوم لقائه فيأمـرهم بطاعته وطاعة رسوله، وينهاهم عن الإعراض عنه وهم يسمعون الآيات تتلى والعظات تتوالى في كتاب الله وعلى لسان رسول الله ﷺ لأن نصركم وتأييدكم كان ثمرة لإيمـانكم وطـاعتكم فإن أنتم أعـرضتم وعصيتم فتـركتم كل ولاية لله تعـالى لكم أصبحتم كغيركم من أهل الكفر والعصيان هذا معنى قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله، ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون﴾ وقوله ﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون﴾ ينهاهم عز وجل أن يسلكوا مسلك الكافرين المشركين[٢] في التصامم عن سماع الآيات الحاملة للحق والداعية إليه، والتعامي عن رؤية آيات الله الدالة على توحيده الذين قالوا إنا عما يقوله محمد في صمم، وفيما يذكر ويشير إليه في عمى، فهم يقولون سمعنا بآذاننا وهم لا يسمعون بقلوبهم لأنهم لا يتدبرون ولا يفكرون فلذا هم في سماعهم كمن لم يسمع إذ العبرة بالسماع الانتفاع به[٣] لا مجرد سماع صوت وقوله تعالى ﴿إن شر[٤] الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾ يعني بهم المشركين وكانوا شر الدواب لأنهم كفروا بربهم وأشركوا به فعبدوا غيره، وضلوا عن سبيله ففسقوا وظلموا وأجرموا الأمر الذي جعلهم حقاً شر الدواب في الأرض فهذا تنديد بالمشركين، وفي نفس الوقت هو تحذير للمؤمنين من

---

(١) لا يجب الالتفات لمن قال: هذا الخطاب هو للمنافقين كأنما قال: يامن آمنتم بالسنتكم ولم تؤمن قلوبكم، إذ الآية في المؤمنين الصادقين بلا شك ولا ريب.

(٢) واليهود والمنافقين أيضاً، إذ الكل كان هذا موقفهم مما يدعوهم إليه الرسول ﷺ.

(٣) في الآية دليل على أن المؤمن إذ أمر أو نهي فقال سمعاً وطاعة أي: سمعت وأطعت ولم يفعل ولم يترك لا وزن ولا عبرة بقوله بل لابد من الفعل والترك.

(٤) شرّ أصلها: أشر اسم تفضيل، ولكثرة الاستعمال اكتفوا بلفظ شرّ لأنه أخف على اللسان بنقص حرف الهمزة.

معصية الله ورسوله والإعراض عن كتابه وهدي نبيه ﷺ وقوله تعالى ﴿ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم﴾ أي لجعلهم يسمعون آيات الله وما تحمله من بشارة ونذارة وهذا من باب الفرض لقوله تعالى ﴿ولو أسمعهم لتولوا عنه وهم معرضون﴾ هؤلاء طائفة من المشركين[1] توغلوا في الشر والفساد والظلم والكبر والعناد فحرموا لذلك هداية الله تعالى فقد هلك بعضهم في بدر وبعض في أحد ولم يؤمنوا لعلم الله تعالى أنه لا خير فيهم وكيف لا وهو خالقهم وخالق طباعهم، ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيـات :

١ـ وجوب طاعة الله ورسوله في أمرهما ونهيهما، وحرمة معصيتهما.

٢ـ حرمة التشبه بالمشركين والكافرين وسائر أهل الضلال وفي كل شيء من سلوكهم.

٣ـ بيان أن من الناس من هو شر من الكلاب والخنازير فضلاً عن الإبل والبقر والغنم أولئك البعض كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةًۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾

---

(١) في البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿إنّ شرّ الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾ قال: هم نفر من بني عبدالدار، والآية عامة في كل مَنْ تلك حالهم.

شـرح الكلمـات :

استجيبـوا[١] : اسمعوا وأطيعوا.

لما يحييـكم[٢] : أي لمـا فيه حياتكم ولمـا هو سبب في حياتكم كالإيمان والعمل الصالح والجهاد.

فتنـــة : أي عذاباً تفتنون به كالقحط أو المرض أو تسلط عدو.

مستضعفـون : أي ضعفاء أمام أعدائكم يرونكم ضعفاء فينالون منكم.

ورزقـكم من الطيبات : جمع طيب من سائر المحللات من المطاعم والمشراب وغيرها.

لعلكم تشـكرون : رجاء أن تشكروه تعالى بصرف النعمة في مرضاته.

معنى الآيـات :

هذا هو النداء الثالث بالكرامة للمؤمنين الرب تعالى يشرفهم بندائه ليكرمهم بما يأمرهم به أو ينهاهم عنه تربية لهم وإعداداً لهم لسعادة الدارين وكرامتهما فيقول ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ وهو بمعنى النداء الأول أطيعوا الله ورسوله. وقوله ﴿لما يحييكم﴾ إشعار بأن أوامر الله تعالى ورسوله كنواهيهما لا تخلوا أبداً مما يحيي المؤمنين[٣] أو يزيد في حياتهم أو يحفظها عليهم، ولذا وجب أن يطاع الله ورسوله ما أمكنت طاعتهما. وقوله ﴿واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه﴾ تنبيه عظيم للمؤمنين إذا سنحت لهم فرصة للخير ينبغي أن يفترصوها قبل الفوات لا سيما إذا كانت دعوة من الله أو رسوله، لأن الله تعالى قادر على أن يحول بين المرء ومايشتهي وبين المرء وقلبه[٤] فيقلب القلب ويوجهه إلى وجهة أخرى فيكره فيها الخير ويرغب في الشر وقوله ﴿وأنه إليه

---

(١) هذا بمعنى أجيبوا: الإجابة معناها: إعطاء المطلوب، وإن كان أمراً ونهياً فهو الطاعة بفعل الأمر وترك النهي، ويعبر عنهما بالسمع والطاعة، وفعل استجاب: يُعدّى باللاّم يقال: استجاب له، وفعل أجاب: يتعدى بنفسه، يقال: أجابه، إلاّ أنّ استجاب قد يتعدى بنفسه ولكن بقلة ومنه قول الشاعر:

وداع ،دعا يامن يجيب إلى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب

(٢) ﴿يحييكم﴾ أصلها يحييُكم بضم الياء الثانية إلاّ أن حركتها حذفت فسكنت تخفيفا.

(٣) في الآية دليل على أن الكفر والجهل موت معنوي للإنسان، إذ بالإيمان والعلم تكون الحياة وبضدهما تكون الممات.

(٤) روى غير واحد عنه ﷺ قوله: (اللهم يا مقلّب القلوب ثبّت قلبي على دينك) وروى مسلم عنه ﷺ قوله: (اللهم مصرف القلوب صرّف قلوبنا إلى طاعتك).

تحشرون﴾ فالذي يعلم أنه سيحشر رغم أنفه إلى الله تعالى كيف يسوغ له عقله أن يسمع نداءه يأمره فيه أو ينهاه فيعرض عنه، وقوله ﴿واتقوا فتنة[1] لا تصيبن[2] الذين ظلموا منكم خاصة﴾ تحذير آخر عظيم للمؤمنين من أن يتركوا طاعة الله ورسوله، ويتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فينتشر الشر ويعم الفساد، وينزل البلاء فيعم الصالح والطالح، والبار والفاجر،[3] والظالم والعادل، وقوله ﴿واعلموا أن الله شديد العقاب﴾. وهو تأكيد للتحذير بكونه تعالى إذا عاقب بالذنب والمعصية فعقابه قاس شديد لا يطاق فليحذر المؤمنون ذلك بلزوم طاعة الله ورسوله. وقوله تعالى: ﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون﴾ هذه موعظة ربانية لأولئك المؤمنين الذين عايشوا الدعوة الإسلامية من أيامها الأولى يذكرهم ربهم بما كانوا عليه من قلة وضعف يخافون أن يتخطفهم الناس لقلتهم وضعفهم، فآواهم عز وجل إلى مدينة نبيه المنورة ونصرهم بجنده فعزوا بعد ذلة واستغنوا بعد عيلة وفاقة، ورزقهم من الطيبات من مطعم ومشرب وملبس ومركب، ورزقهم من الطيبات إكراماً لهم، ليعدهم بذلك للشكر إذ يشكر النعمة من عاشها ولابسها، والشكر حمد المنعم والثناء عليه وطاعته ومحبته وصرف النعمة في سبيل مرضاته،والله يعلم أنهم قد شكروا فرضي الله عنهم وأرضاهم والحقنا بهم صابرين شاكرين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

---

(١) قال ابن عباس في هذه الآية أمر الله تعالى المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعمّهم العذاب، وفي صحيح مسلم عن زينبت بنت جحش أنها سألت رسول الله ﷺ فقالت: يارسول الله: أنهلك وفينا الصالحون قال: نعم إذا كثر الخبث).

(٢) اعراب هذه الجملة مشكل نكتفي بعرض صورتين: الأولى أنها كقوله: ﴿ادخلوا مساكنكم لايحطمنّكم﴾ أي: إن تدخلوا لا يحطمنّكم فيكون معنى الآية: إن تتقوا..: لا تصيبنّ فدخلت نون التوكيد لما في التركيب من معنى الجزاء، والثانية: تكون على حذف القول أي: اتقوا فتنة مقول فيها: لا تصيبنّ الذين ظلموا... كقول الشاعر:

حتى إذا جنّ الظلام واختلط　　جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط

اي مقول فيه: هل رأيت.. الخ فقوله فتنة موصوف بجملة مقول فيها: لا تصيبنّ.

(٣) روى أحمد عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إذا ظهرت المعاصي في أمتي عمهم الله بعذاب من عنده قالت. قلت: يارسول الله أما فيهم أناس صالحون؟ قال بلى. قالت: كيف يصنع أولئك؟ قال: يصيبهم ما أصاب الناس ثم يصيرون إلى مغفرة من الله ورضوان).

(۱)
۱ـ وجب الاستجابة لنداء الله ورسوله بفعل الأمر وترك النهي لما في ذلك من حياة الفرد المسلم.

۲ـ تعين اغتنام فرصة الخير قبل فواتها فمتى سنحت للمؤمن تعين عليه اغتنامها.

۳ـ وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اتقاء للفتن العامة التي يهلك فيها العادل والظالم.

٤ـ وجوب ذكر النعم لشكرها بطاعة الله ورسوله ﷺ.

٥ـ وجوب شكر النعم بحمد الله تعالى والثناء عليه والاعتراف بالنعمة له والتصرف فيها حسب مرضاته.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

شرح الكلمات :

لا تخونوا الله والرسول : أي بإظهار الإيمان والطاعة ومخالفتهما في الباطن.

وتخونوا أماناتكم : أي ولا تخونوا أماناتكم التي يأتمن عليها بعضكم بعضاً.

إنما أموالكم وأولادكم فتنة : أي الاشتغال بذلك يفتنكم عن طاعة الله ورسوله.

إن تتقوا الله : أي بامتثال أمره واجتناب نهيه في المعتقد والقول والعمل.

---

(١) روى البخاري عن أبي سعيد بن المعلى قال: كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه ثم أتيته فقلت يا رسول الله إني كنت أصلي فقال ألم يقل الله عز وجل ﴿استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾؟ وذكر الحديث. قال العلماء: في هذا دليل على أن الفعل الفرض أو القول الفرض إذا أتى به في الصلاة لا تبطل.

يجعل لكم فرقاناً : نوراً في بصائركم تفرقون به بين النافع والضار والصالح والفاسد.

ويكفر عنكم سيآتكم : أي يمحوا عنكم ماسلف من ذنوبكم التي بينكم وبينه.

ويغفر لكم ذنوبكم : أي يغطيها فيسترها عليكم فلا يفضحكم بها ولا يؤاخذكم عليها.

معنى الآيـات :

هذا نداء رباني آخر يوجه إلى المؤمنين ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي يامن آمنتم بالله رباً وبمحمد رسولاً وبالإسلام ديناً. ﴿لا تخونوا الله والرسول﴾ بأن يظهر أحدكم الطاعة لله ورسوله، ويستسر المعصية، ولا تخونوا أماناتكم التي يأتمن بعضكم بعضاً عليها ﴿وأنتم تعلمون﴾ عظيم جريمة الخيانة وآثارها السيئة على النفس والمجتمع، هذا ما دلت عليه الآية الأولى في هذا السياق ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا[1] الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمـون﴾ وقـوله تعالى ﴿واعلموا انما[2] أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم﴾ فيه إشـارة إلى السبب الحامل على الخيانة غالباً وهو المال والأولاد فأخبرهم تعالى أن أموالهم وأولادهم فتنة تصرفهم عن الأمانة والطاعة، وأن ما يرجوه من مال أو ولد ليس بشيء بالنسبة الى ما عند الله تعالى إن الله تعالى عنده أجر عظيم لمن أطاعه واتقاه وحافظ على أمانته مع الله ورسوله ومع عباد الله وقوله تعالى في الآية الثالثة ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله[3] يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئآتكم ويغفر لكم﴾ هذا حض على التقوى وترغيب فيها بذكر أعظم النتائج لها وهي أولاً اعطاء الفرقان وهو النصر والفصل بين كل مشتبه، والتمييز بين الحق والباطل والضار والنافع، والصحيح والفاسد، وثانياً تكفير السيئآت، وثالثاً مغفرة الذنوب ورابعاً الأجر العظيم الذي هو الجنة ونعيمها إذ قال تعالى

(١) لفظ الآية عام في كل ذنب صغير وكبير، وما روي أنها نزلت في أبي لبابة حيث بعثه رسول الله ﷺ إلى بني قريظة لينزلوا على حكم رسول الله ﷺ فاستشاروه في ذلك فأشار عليهم بذلك وأشار بيده إلى حلقه أي إنه الذبح ،لا ينافيه.

(٢) وهذه الآية عامّة أيضاً وإن قيل إنها نزلت في أبي لبابة إذ كان له مال وولد في بني قريظة فلا يُتهم لأجل ذلك.

(٣) قال بعضهم واصفا للتقوى المورثة للفرقان فقال: هي امتثال الأوامر واجتناب المناهي، وترك الشبهات مخافة الوقوع في المحرمات وشحن القلب بالنية الخالصة، والجوارح بالأعمال الصالحة، والتحفظ من شوائب الشرك الخفي والظاهر.

في ختام الآية ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ إشارة الى ما يعطيه الله تعالى أهل التقوى في الآخرة وهو الجنة ورضوانه على أهلها، ولنعم الأجر الذي من أجله يعمل العاملون.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- تحريم الخيانة مطلقاً وأسوأها ما كان خيانة لله ورسوله.

٢- في المال والأولاد فتنة قد تحمل على خيانة الله ورسوله، فيلحذرها المؤمن.

٣- من ثمرات التقوى تكفير السيآت وغفران الذنوب، والفرقان وهو نور في القلب يفرق به المتقى بين الأمور المتشابهات والتي خفي فيها وجه الحق والخير.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾

شرح الكلمات :

وإذ يمكر بك : أي يبيتون لك ما يضرك.

ليثبتوك : أي ليحبسوك مثبتاً بوثاق حتى لا تفر من الحبس.

أو يخرجوك : أي ينفوك بعيداً عن ديارهم.

ويمكرون ويمكر الله : أي يدبرون لك السوء ويبيتون لك المكروه، والله تعالى يدبر لهم ما يضرهم أيضاً ويبيت لهم ما يسوءهم.

آياتنا : آيات القرآن الكريم.

أساطير الأولين : الأساطير جمع أسطوره ما يدون ويسطر من أخبار الأولين.

معنى الآيـات :

يذكر تعالى رسوله والمؤمنين بنعمة من نعمه تعالى عليهم فيقول لرسوله واذكر إذ يمكر بك الـذين كفـروا ﴿ليثبتـوك أو يقتلوك أويخـرجوك﴾ إذا اجتمعت قريش في دار الندوة وأتمرت في شأن النبي ﷺ وفكـرت ومكـرت فأصـدروا حكـمًا[1] بقتله ﷺ وبعثـوا من ينفـذ جريمة القتل فطوقوا منزله فخرج النبي[2] ﷺ بعد أن رماهم بحثية من تراب قائلاً شاهت الوجوه، فلم يره أحد ونفذ وهاجر إلى المدينة وهذا معنى ﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ فكان في نجاته ﷺ من يد قريش نعمة عظمى على رسول الله ﷺ وعلى سائر المؤمنين والحمد لله رب العالمين.

وقوله تعالى في الآية الثانية[3] ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أسـاطير الأولين﴾ هذا الخبـر تنـديد بمـوقف المشركين ذكر بعد ذكر مؤامراتهم الدنية ومكرهم الخبيث حيث قرروا قتله ﷺ يخبر تعالى أنهم إذا قرأ عليهم الرسول آيات الله المبينة للحق والمقررة للايمان به ورسالته بذكر قصص الأولين قالوا ﴿سمعنا﴾ ما تقرأ علينا، ﴿ولو شئنا لقلنا مثل هذا﴾ أي الذي تقول ﴿إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ أي أخبار السابقين من الأمم سطرت وكتبت فهي تملى عليك فتحفظها وتقرأها علينا وكان قائل هذه المقالة الكاذبة النضر بن الحارث عليه لعائن الله، إذ مات كافراً.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ـ التذكير بنعم الله تعالى على العبد ليجد العبد في نفسه داعية الشكر فيشكر.

٢ـ بيان مدى ما قاومت به قريش دعوة الإسلام حتى إنها أصدرت حكمها بقتل الرسول ﷺ.

٣ـ بيان موقف المشركين من الدعوة الإسلامية، وانهم بذلوا كل جهد في سبيل انهائها والقضاء عليها.

---

(١) كان حكم القتل باقتراح ابليس إذ جاءهم وهم يتشاورون في أمر النبي ﷺ فأشار عليهم وهو في صورة شيخ نجدي فقبلوا ما أشار به عليهم من القتل فأخذوا برأيه وتركوا ما أشار به بعضهم من النفي والحبس.

(٢) بعد ان ترك علياً نائماً على فراشه مسجىً ببرد أخضر للنبي ﷺ.

(٣) من بين القائلين: النضر بن الحارث إذ كان قد خرج إلى الحيرة في تجارة فاشترى أحاديث كليلة ودمنة وكسرى، وقيصر، وأخذ يقصّ تلك الأخبار ويقول: هذه مثل الذي يقصّ محمد من أخبار الماضين. وكذب فأين ما يقصه القرآن وما يوسوس به الشيطان.

وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾

شرح الكلمات:

اللهم : أي يا الله حذفت ياء النداء من أوله وعوض عنها الميم من آخره.

إن كان هذا : أي الذي جاء به محمد ويخبر به.

فأمطر : أنزل علينا حجارة.

يصدون عن المسجد الحرام : يمنعون الناس من الدخول إليه للاعتمار.

مكاء وتصدية : المكاء: التصفير، والتصدية: التصفيق.

معنى الآيات:

ما زال السياق في التنديد ببعض أقوال المشركين وأفعالهم فهذا النضر[1] بن الحارث القائل في الآيات السابقة ﴿لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ يخبر تعالى عنه أنه قال ﴿اللهم إن كان هذا﴾ أي القرآن ﴿هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من

(١) وقاله أيضاً أبو جهل وهو دال على مدى عناد المشركين في مكة ومكابرتهم وحسدهم أيضاً.

السماء﴾ فنهلك بها، ولا نرى محمداً ينتصر[1] دينه بيننا. ﴿أو أئتنا بعذاب أليم﴾ حتى نتخلص من وجودنا. فقال تعالى ﴿وما كان الله ليعذبهم[2] وأنت فيهم[3]﴾ فوجودك بينهم أمان لهم ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ إذ كانوا إذا طافوا يقول بعضهم غفرانك ربنا غفرانك، ثم قال تعالى ﴿وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام﴾ أي أيُّ شيء يصرف العذاب عنهم وهم يرتكبون أبشع جريمة وهي صدهم الناس عن دخول المسجد الحرام للطواف بالبيت الحرام، فقد كانوا يمنعون المؤمنين من الطواف بالبيت والصلاة في المسجد الحرام.[4] وقوله تعالى ﴿وما كانوا أولياءه﴾ رد على مزاعمهم بأنهم ولاة الحرم والقائمون عليه فلذا لهم أن يمنعوا من شاءوا ويأذنوا لمن شاءوا فقال تعالى رداً عليهم ﴿وما كانوا أولياءه﴾ أي أولياء المسجد الحرام، كما لم يكونوا أيضاً أولياء الله إنّما أولياء الله والمسجد الحرام المتقون الذين يتقون الشرك والمعاصي ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ هذا لجهل بعضهم وعناد آخرين. وقوله ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية﴾ إذ كان بعضهم إذا طافوا يصفقون ويصفرون كما يفعل بعض دعاة التصوف حيث يرقصون وهم يصفقون ويصفرون ويعدون هذا حضرة أولياء الله، والعياذ بالله من الجهل والضلال وقوله تعالى ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ أذاقهموه يوم بدر إذ أذلهم فيه وأخزاهم وقتل رؤساءهم.

هداية الآيـات

من هداية الآيات:

١ـ بيان ما كان عليه المشركون في مكة من بغض للحق وكراهية له حتى سألوا العذاب العام ولا يرون راية الحق تظهر ودين الله ينتصر.

---

(١) ذكر القرطبي الحكاية التالية قال: حكي أن ابن عباس لقيه يهودي فقال له من أنت؟ قال: من قريش. فقال أنت من القوم الذين قالوا: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء. . .﴾ الآية فهلاّ عليهم أن يقولوا: إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له إنّ هؤلاء قوم يجهلون قال ابن عباس: وأنت يا اسرائيلي من القوم الذين لم تجف أرجلهم من بلل البحر الذي أغرق فيه فرعون وقومه، وانجى موسى وقومه حتى قالوا: ﴿اجعل لنا إلها كما لهم آلهة فقال لهم موسى إنكم قوم تجهلون﴾ فأطرق اليهودي ملجماً.

(٢) روى مسلم أنه لما قال أبو جهل. اللهم إن كان هذا هو الحق. . الآية نزلت هذه الآية: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾.

(٣) دليله أنهم لما خرج من بينهم ﷺ عذبهم الله بالقتل في بدرٍ وسني القحط الجدب.

(٤) أي انهم مستحقون العذاب ولكن لكل أجل كتاب فإذا حان أوانه عذّبوا.

٢ـ النبي ﷺ أمان أمته من العذاب فلم تُصب هذه الأمة بعذاب الاستئصال والإبادة الشاملة.

٣ـ فضيلة الاستغفار وأنه ينجي من عذاب الدنيا والآخرة.

٤ـ بيان عظم جرم من يصد عن المسجد الحرام للعبادة الشرعية فيه.

٥ـ بيان أولياء الله تعالى والذين يحق لهم أن يلوا المسجد الحرام وهو المتقون.

٦ـ كراهية الصفير[1] والتصفيق، وبطلان الرقص في التعبد.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

شرح الكلمات :

إن الذين كفروا : أي كذبوا بآيات الله ورسالة رسوله محمد ﷺ من قريش

ثم تكون عليهم حسرة : أي شدة ندامة.

ثم يغلبــون : أي يهـزمون.

ليميــز : أي ليميز كل صنف من الصنف الآخر.

الخبيـث : هم أهل الشرك والمعاصي.

من الطيـب : هم أهل التوحيد والأعمال الصالحة.

فيركمــه : أي يجعل بعضه فوق بعض في جهنم.

---

(١) الصفير: تفسير للمكاء في الآية وهو مأخوذ من صوت طائر يسمى المكاء قال الشاعر:

إذا غرّد المكاء في غير روضة ... فويل لأهل الشاء والحُمُرات

معنى الآيـة الكريمة :

ما زال السياق في التنـديد بالمشـركين وأعمـالهم الخاسرة يخبر تعالى ﴿أن الذين كفـروا﴾ وهم أهـل مكـة من زعمـاء قريش ﴿ينفقـون أموالهم﴾ في[1] حرب رسول الله والمؤمنين للصد عن الإسلام المعبر عنه بسبيل الله يقول تعالى ﴿فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة﴾[2] أي ندامة شديدة لسوء العاقبة التي كانت لهم في بدر وأحد والخندق إذ أنفقوا على هذه الحملات الثلاث من الأموال ما الله به عليم، ثم خابوا فيها وخسروا وبالتالي غلبوا وانتهى سلطانهم الكافر وفتح الله على رسوله والمؤمنين مكة وقوله تعالى ﴿والذين كفروا﴾ أي من مات منهم على الكفر ﴿إلى جهنم يحشرون﴾ أي يجمعون، وعلة هذا الجمـع أن يميز الله تعـالى الخبيث من الـطيب فالـطيبـون وهم المؤمنـون الصـالحون يعبرون الصراط الى الجنة دار النعيم، وأما الخبيث وهم فريق المشركين فيجعـل بعضـه إلى بعض فيركمـه جميعاً كوماً واحداً فيجعله في جهنم. وقوله تعالى ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ إشارة الى الذين أنفقوا أموالهم للصد عن سبيـل الله وماتوا على الكفر فحشروا إلى جهنم وجعل بعضهم الى بعض ثم صيروا كوماً واحداً ثم جعلوا في نار جهنم هم الخاسرون بحق حيث خسروا أنفسهم وأموالهم وأهليهم وكل شيء وأمسوا في قعر جهنم مبلسين والعياذ بالله من الخسران المبين.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ كل نفقة ينفقها العبد للصد عن سبيل الله بأي وجه من الوجوه تكون عليه حسرة عظيمة يوم القيامة.

٢ـ كل كافر خبيث وكل مؤمن طيب.

٣ـ صدق وعد الله تعالى لرسوله والمؤمنين بهزيمة المشركين وغلبتهم وحسرتهم على ما أنفقوا في حرب الإسلام وضياع ذلك كله وخيبتهم فيه.

---

(١) لمّا هزمت قريش في بدر قام أبو سفيان بحملة جمع فيها الأموال لحرب رسول الله ﷺ والانتقام لمن مات من صناديد قريش فجمع المال وشنّ حرب أحد إلاّ أنه خاب وخسر كما أخبر تعالى: ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون.

(٢) والآية يدخل فيها المطعمون ببدر إذ كانوا اثني عشر رجلا فكان الواحد منهم يطعم جيش قريش عشرة من الإبل يومياً طيلة ما هم في بدر، فخابوا في نفقاتهم وهلكوا.

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات :

إن ينتهوا : عن الكفر بالله ورسوله وحرب الرسول والمؤمنين.

ما قد سلف : أي مضى من ذنوبهم من الشرك وحرب الرسول والمؤمنين.

مضت سنة الأولين : في إهلاك الظالمين.

لا تكون فتنة : أي شرك بالله واضطهاد وتعذيب في سبيل الله.

ويكون الدين كله لله : أي حتى لا يعبد غير الله.

مولاكم : متولي أمركم بالنصر والتأييد.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في بيان الإجراءات الواجب اتخاذها إزاء الكافرين فيقول تعالى لرسوله ﷺ ﴿قل للذين كفروا﴾[1] مبلغاً عنا ﴿إن ينتهوا﴾ أي عن الشرك والكفر والعصيان وترك حرب الإسلام وأهله ﴿يغفر لهم ما قد سلف﴾ يغفر الله لهم ما قد مضى[2] من ذنوبهم العظام وهي الشرك والظلم، وهذا وعد صدق ممن لا يخلف الوعد سبحانه وتعالى. ﴿وإن يعودوا﴾ إلى الظلم والاضطهاد والحرب فسوف يحل بهم ما حل بالأمم السابقة قبلهم لما ظلموا فكذبوا الرسل وآذوا المؤمنين وهو معنى قوله تعالى ﴿فقد مضت سنة

(١) نزلت في أبي سفيان ورجاله المشركين في مكة قبل الفتح.

(٢) في الصحيح: (الإسلام يجبّ ما قبله، والتوبة تجبّ ما قبلها).

الأولين﴾ أي سنة الله والطريقة المتبعة فيهم وهي أخذهم[1] بعد الإنذار والإعذار. ثم في الآية الثانية من هذا السياق يأمر الله تعالى رسوله والمؤمنين بقتال المشركين قتالاً يتواصل بلا انقطاع إلى غاية هي: أن لا تبقى فتنة أي شرك ولا اضطهاد لمؤمن[2] أو مؤمنة من أجل دينه، وحتى يكون الدين كله لله فلا يعبد[3] مع الله أحد سواه ﴿فإن انتهوا﴾ أي عن الشرك والظلم فكفوا عنهم وإن انتهوا في الظاهر ولم ينتهوا في الباطل فلا يضركم ذلك ﴿فإن الله بما يعملون بصير﴾وسيظهرهم لكم ويسلطكم عليهم. وقوله في ختام السياق ﴿وإن تولوا﴾ أي نكثوا العهد وعادوا إلى حربكم بعد الكف عنهم فقاتلوهم ينصركم الله عليهم واعلموا ان الله مولاكم فلا يسلطهم عليكم، بل ينصركم عليهم إنه ﴿نعم المولى﴾ لمن يتولى ﴿ونعم النصير﴾ لمن ينصر.

هدايـة الآيات

من هداية الآيات:

١- بيان سعة فضل الله ورحمته.

٢- الإسلام يجـبّ أي يقطع ما قبله، فيغفر لمن أسلم كل ذنب قارفه من الكفر وغيره.

٣- بيان سنة الله في الظالمين وهي إهلاكهم وإن طالت مدة الإملاء والإنظار.

٤- وجوب قتال المشركين على المسلمين ما بقي في الأرض مشرك.

٥- نعم المولى الله جل جلاله لمن تولاه، ونعم النصير لمن نصره.

---

(١) اخذهم: أي بالعذاب العاجل والعقوبة الشديدة.

(٢) الاضطهاد: هو فتنة قريش للمؤمنين حيث فتنوهم حتى هاجروا إلى الحبشة وفتنوهم حتى هاجروا إلى المدينة ومعنى: فتنوهم: عذّبوهم ليردّوهم إلى الشرك والكفر.

(٣) يشهد له قوله ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلاّ الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلاّ بحقّها، وحسابهم على الله عز وجل) في الصحيحين.